ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1124 - الجمعة 8 جمادى الثانية 1426 هـ - الموافق 15 يوليوز 2005

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله. يترأس افتتاح أعمال المجلس العلمي الأعلى بفاس، ويلقي في العلماء خطابا هاما، يؤسس انطلاق أعمال الافتاء الجماعي، بأحداث هيئة الفتوى داخل المجلس العلمي الأعلى، قطبا لدابر الفتنة، والبلبلة في الشؤون الدينية، وجعل هيئة الفتوى، آلية لتفعيل الاجتهاد الديني على أساس المزاوجة الخلاقة بين الأنظار الفقهية والخبرة الميدانية.

تتمة في الصفحة 12

البيعة في الاسلام ووجوب الطاعة لولي الأمر

3/3

فنظام الحكم في الإسلام يحرص على نشر الأمن واستتبابه وزرع المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع الإنساني، فرسالته صلى الله عليه وسلم رسالة سلم ووئام ودفاع عن القيم، إذ تأمر الحاكمين بجلب المصلحة للمحكومين ودفع المفسدة عنهم، كما تأمر المحكومين بالطاعة والانقياد لولي الأمر، فعلى أهل الرأي وأصحاب الحل والعقد أن يؤازروا ولي الأمر ويعضدوه ويتفانوا في الانقياد له، وبذل النصح له، لأنه النصح مطلوب بثه بالتي هي أحسن لأئمة المسلمين وعامتهم.

وفي النصح لولاة الأمر وجماهير الأمة ميزة لا يقدر ثمنها... فـ(الدال على الخير كفاعله) كما جاء في الأثر.

ولاشك أن من يحث على الخير ويعمل به، ويدعو له متحليا بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات فقد هدي إلى صراط مستقيم، وعمل على أداء واجبه الديني والأخلاقي...

فمطلوب منا معاملة الجميع بالتي هي أحسن والنصح للكل بالقول والعمل، فعن تميم الدار رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه الخمسة.

فالنصح لولي الأمر واجب على الحاشية وجوبا عينيا لما في ذلك من إظهار الوفاء له لكي لا يكون أدنى خلل في عمل المسؤول يترتب عنه نقص في أدائه للواجب على الوجه المطلوب.

وفي النصح بالقول والعمل أكبر دليل على حب المصلحة العامة، وأحسن أسلوب يتخذ لتلاحم الصف وأنجع وسيلة تستعمل لتضافر الجهد والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وإن قوتنا تكمن في التفاف الأمة حول ولي الأمر والوفاء له والعمل بجد وإخلاص لما يدعو له من إصلاح وترابط بين الراعي والرعية.

إن تقدمنا يتجلى بين أفراد الإنسانية قادة وشعوبا في قوة اتحادنا قال عز من قائل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾، فما وصلت الأمة الإسلامية لما وصلت إليه من حضارة وتقدم وفتوحات صارت مضرب الأمثال ومحل إعجاب في تاريخ الأمم والشعوب إلا بإخلاصها لولي الأمر وانصهارها الصادق لكل ما يدعو إليه بإيمان وعقيدة راسخين وتماسك مطلق وتضامن كامل، فالإمام والرعية يقومان بواجبهما كل في إطار اختصاصه يحدوهما الواجب الديني للقيام بعملهما على الوجه المطلوب شرعا بحب وثقة متبادلين بين القمة والقاعدة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) رواه الخمسة.

بهذا التضامن حول القيام بالواجب تصل الأمة إلى ما تصبو إليه من رقي وتطور مطردين من وراء ولي الأمر حيث تنهض طبقات المجتمع بواجبها كل يتحمل قسطه من مسؤوليته التي جعلها الله على عاتقه قصد بناء مجتمعه تمشيا مع ما ترمي إليه أهداف البيعة من عمل مخلص وفاء لمقدسات الوطن وتطبيقا لما تنص عليه بنودها الداعية إلى الطاعة والانقياد المطلقين لولي الأمر والالتفاف حوله، ليبقى سلك الأمة منتظما، فعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

معرفة الله تعالى

الإحسان حقيقته وفعله

كيف تمحو الصورة المشوهة عن الإسلام

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-30-

في العدد الماضي من مسيرة الحجة النبوية ونحن نعيش مع خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تناول فيه الكثير من التوجيهات والتشريعات الإسلامية التي تهم الأمة الإسلامية عامة والمجتمعات الخصوصية التي تحيى أيامها على إيقاع عادات وتقاليد وصل الوقت لاتخاذ موقف صارم منها في إطار الحياة الإسلامية التي كيفت المجتمع العربي خاصة والمجتمعات الأخرى الإسلامية للسير على منهج واحد في أصوله وثوابته وقواعده الدينية.

وفي العدد الماضي وقفنا مع فقرتين كان الخطاب فيها يخص قريشا بصفة معينة ويوجهها إلى أن تلغي من حسابها النسب القبلي عند التعامل مع الله يوم القيامة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينفعها في ذكر نسبه وانتمائه إليها، ولكن العمل الصالح والتقرب إلى الله به هو وحده الذي يكون له ثقل في الميزان.

وفي الفقرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين يتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعية خاصة بعرب مكة، وبخدمة الكعبة المشرفة بصفة أخص.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفقرة الأولى أيها الناس: إن النسئ زيادة في الكفر يضل به الذي كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوطئوا عدة ماحرم الله، فيحلوا ماحرم الله، ويحرموا ما أحل الله.

والفقرة تشير إلى الآية القرآنية السابعة والثلاثين من سورة التوبة " إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدي القوم الكافرين"

الموضوع فيه تحليل وتحريم وكفر وضلال، وهو يقع من طرف المسلمين، وبجانب البيت الحرام والكعبة المشرفة، لقد هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسس الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتم فتح مكة وإزالة كل ما كان حولها من أصنام وأوثان تعبدها العرب، ولايمكن أن تبقى قرارات جاهلية تنظم حياة المسلمين، وتفرض عليهم منهجا معينا، الحكم في الجزيرة العربية أصبح لله وحده وتشريعه هو الذي ينظم مايجب ومايباح ومايمنع، وليس لغيره من البشر أمر في التحليل أوالتحريم أو الإباحة أو المنع، ذلك الدين القيم وحده الذي له سلطة الأمر والنهي، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حدا لحالة كانت تغير ماخلق الله.

النسيئ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أن جنادة الكنافي كان يوافي الموسم في كل عام، وكان يكنى أبا ثمامة، فينادي: إلا أن أبا ثمامة لا يجاب ولايعاب، ألا وأن صفر العام الأول العام حلال فيحله للناس، ويحرم صفرا عاما، ويحرم المحرم عاما، فنزل قول الله تعالى: "إنما النسيئ زيادة في الكفر" يتركون عاما وعاما يحرمونه.

لقد كانت العرب في الجاهلية حسب التقاليد الموروثة تقدس البيت الحرام بمكة المكرمة وكانوا يقومون بزيارته بصفة عامة مرتين في السنة فترة لأداء مناسك العمرة رغم حالة بعض مناسكها الجاهلية، وفترة لأداء مناسك الحج وقد التزمت القبائل العربية بعدم القيام بأي حرب خلال فترة المناسك، وإذا كانت قائمة فإنها توقف لأجل تأمين الطريق للقاصدين لمكة المكرمة لأداء الحج أو العمرة، وتأمينها للعودة إلى ديارهم، كان هذا عهد عملي يطبقونه فيما بينهم فينضبط الأمن في الطرقات والصحاري ولايجرأ أحد على الاعتداء على غيره في هذه الأشهر الأربعة، لأنها أشهر السلام من أجل الحج والعمرة، وقد سجل القرءان الكريم هذه الصفة للأشهر الأربعة فسماها الأشهر الحرم التي توقف فيها كل النزعات والخصومات الحربية، ويأمن الناس فيها في تنقلاتهم وأسفارهم. وقد سجل الله عز وجل هذا الواقع في نفس سورة التوبة في الآية السادسة والثلاثين فقال تعالى "إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم".

إن تقسيم الزمان وتسميته ووصف شهوره وأيامه أمر تكفل به الله عز وجل، فلا يقبل التقديم أو التأخير ولايقبل التبديل أو التغيير، وكما نظم الله عز وجل الزمان نظم المكان فحرم بعضه وترك الآخر للناس، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في شأن مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

العالمة الفاضلة فاطمة بنت يحيى المغامي

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ من الملاحظ أننا نقرأ اليوم تاريخ الأندلس الفكري، والسياسي والاجتماعي والحضاري.. بمرارة كبيرة، ونقف محزونين، ومتألمين لضياع تاريخنا العربي الإسلامي بهذه البلاد التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية أيما ازدهار، وكانت الأندلس من الجزيرة الخضراء، إلى طليطلة، ومابعدها إلى جبال البرانس، تعرف حضارة إسلامية انتشرت بالمدن والقرى، وبسائر الجهات، فما شئت من مساجد، ومآذن، ومعاهد، ومدارس، وكتاتيب قرآنية، وتكايا للعباد، وزوايا صوفية، ورباطات للجهاد والمجاهدين، وكانت العلوم العربية الإسلامية سائدة في كل مكان ، تدرس بالمساجد والمعاهد والمنازل، في حلقات متواصلة، وفي مختلف مجالات المعرفة، يقوم عليها أساتذة، وشيوخ، برزوا في اختصاصاتهم المتنوعة، كعلوم القرآن المجيد، والحديث الشريف، والفقه والأصول، والفلسفة، والطب، والبيطرة والزراعة... وأصبحت المعرفة غذاء فكريا عاما شاملا، يأخذ كل واحد منه نصيبه، وأصبح لكل فرع من فروع المعرفة شيوخه المتضلعون فيه، وساهمت المرأة العربية الأندلسية، في النهضة العلمية بنصيب وافر، وفي مختلف شعب المعرفة ومجالاتها، فكثر العلماء والأدباء والشعراء، ومع الأيام تضاعف عدد القراء والمحدثين، وكبار الفقهاء، وقصد إخواننا بالمشرق هذه البلاد، كما قصدها غيرهم من دول أوروبا، وأصبح الإشعاع الحضاري للأندلس العربية المسلمة لافتا للأنظار، واعتمد العلماء المؤلفات الأندلسية في سائر الفنون والعلوم، وتهافت الناس عليها، لاقتنائها، والاستفادة منها، ويذكر مؤلفو تراجم العلماء أن الإمام الغزالي كان شديد الإعجاب بمؤلفات ابن حزم، وذاعت بالمشرق شهرة مؤلفات ابن عبد البر، مثل: الاستذكار، والتمهيد، وجامع بيان العلم، والاستيعاب، وغيرها من مؤلفاته ومؤلفات غيره، كالطرطوشي والباجي، وابن العربي، والقاضي عياض... وكان شيخ علماء مكة، التقي الفاسي، يدرس كتاب الشفا للقاضي عياض، ببيت الله الحرام بمكة المكرمة، وقدر العلماء نفاسة كتبه الأخرى: كمشارق الأنوار، والإلماع، وترتيب المدارك، وغيرها.

ويذكر التجيبي في رحلته أن علماء المشرق، كابن دقيق العيد، والتوني، وغيرهما، كانوا يسألون ويلحاح ، الوافدين عليهم، عن علماء الأندلس والمغرب، وعن الحركة العلمية بالغرب الإسلامي، وعن المؤلفات الجديدة، وماجد في ميدان المعرفة والفكر...ونجد علماء الشرق ابتداء من القرن السادس الهجري، وربما قبل ذلك، ينقلون عن مؤلفات علماء المغرب ويعتمدونها في كتاباتهم وأبحاثهم، فالامام النووي مثلا، ينقل في شرحه لصحيح مسلم عن القاضي عياض الذي سبقه في هذا العمل، ويعتمد آراءه وأفكاره. وكذلك الأمر بالنسبة للحافظ ابن حجر في شرحه "فتح الباري"، فهو ينقل عن ابن العربي المعافري، وعن القرطبي، في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، وينقل عن ابن عبد البر في كتابه الإصابة، فابن عبد البر ألف قبله "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" وينقل عن غير هؤلاء من المغاربة والأندلسيين.

ونراه اعتمد في شرحه لصحيح البخاري على النسخة الشيخة لأبي علي الصدفي، الحسين بن سكرة المرسي، شيخ القاضي عياض وغيره من كبار علماء الغرب الإسلامي، وهذه النسخة مكتوبة بخط أبي علي الصدفي نفسه، ونستنتج من هذه الأمثلة القليلة أن الأمة العربية بالأندلس، كانت تمثل قاعدة علمية متميزة، ومنارة حضارية كبرى، بالنسبة للأمة العربية والإسلامية.

وبدراستنا، وتعرفنا اليوم على بعض تراجم عالماتنا، وعلمائنا من الفردوس المفقود، بتعرفنا عليهم نعمل على إثارة حب الاطلاع لدى القارئين، ليلتفتوا إلى تراثهم الأندلسي الضخم، وللتراث المغربي المواكب له، ونحمد الله تعالى علي أن بعض علمائنا تنبه لجمعه والاهتمام به في الوقت المناسب، ولذكر مصادره ومظانه، وبذلك ظل مابقي منه محفوظا، لكنه يحتاج إلى الدراسة، والاستفادة منه، في مختلف مجالاته وفروعه وشعبه وفنونه...

✕ وبعد هذه المقدمة الطويلة، نتعرف على عالمة جليلة ، هي السيدة فاطمة بنت يحيى ابن يوسف المغامي، أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي، قال عنها الحافظ بن بشكوال في الصلة: "كانت عالمة فقيهة خيرة، استوطنت قرطبة...إلى أن قال : ودخلت عليها يوما امرأة، فذاكرتها شيئا وضحكت المرأة، بعدما سُبيّت مكة، فقالت فاطمة: تضحك؟! وقد رفع الله الركن من الأرض، قالت المرأة: فلم أرها تضحك بعد حتى ماتت رحمها الله".

وقصة الهجوم على بيت الله الحرام تعرض لها المؤرخون والرحالة وغيرهم، قال عنها التجيبي في رحلته: "دخل إلى مكة عدو الله أبو طاهر القرمطي لعنه الله، وكان دخوله إياها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، فقتل في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة، مابين رجال ونساء، وهم متعلقون بأستار الكعبة، وردم بهم زمزم....."، وقال السيوطي عن هذا الحدث في كتاب تاريخ الخلفاء، وهو يتكلم عن الخليفة العباسي المقتدر، الذي وقع الحدث في عهده قال: «نقل القرمطي الحجر الأسود من مكة إلى هجر، ولم يفلح بعد هذا العمل الشنيع" وظل هذا الركن غائبا إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

هذا الحدث الفظيع المحزن هو الذي جعل مترجمتنا فاطمة القرطبية بنت يحيى المغامي، تكف عن الضحك بقية عمرها، إلى توفيت رحمها الله سنة: تسع عشرة وثلاثمائة، أي بعد سنتين من هجوم عدو الله القرمطي على مكة، ونزعه الحجر الأسود من مكانه، والفرار به إلى هجر، بالبحرين، ويذكر التجيبي في رحلته أن بعض أهل الأندلس شاهد هذا الحدث الأليم، ويقول بعد ذلك، وهو يتحدث عن رجوع الحجر الأسود إلى مكانه، وشاهد بمكة صرفه إلى موضعه من أهل الأندلس ، ثم أهل قرطبة أيضا، أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك اللخمي...

✕ فمترجمتنا رحمها الله، ماتت متأثرة من الحدث الأليم، الذي أصاب ركنا من أهم أركان بيت الله الحرام، ولم تطق سماع ذلك، ومِاتت حزينة، ولو امتد بها العمر، لأخبرها بَلديُها الحاج أبو عبد الله اللخمي، بالخبر السار، وبرجوع الحجر الأسود إلى مكانه، الذي ظل غائبا عنه، اثنين وعشرين سنة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول في الحديث الصحيح: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتواصلهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"

✕ فهذه العالمة المسلمة في قرطبة بأقصى الغرب الإسلامي، تأثرت تأثرا بليغا بأحداث مكة إلى درجة أنها امتنعت عن الضحك مهما كانت أسبابه ودواعيه، إلى أن ماتت رحمها الله، ولم يمنعها بعدها عن موقع الحدث، من الاهتمام به، والتأثر له، لأن شعورها بالأخوة الإسلامية، وبروابط العقيدة، هو شعور عالمة مسلمة، تتحمل مسؤولية الدعوة إلى الأخوة، والتحابب والتوادد بين سائر أفراد المسلمين، مهما تناءت الديار، وبعدت المسافات، فالمسلم أخو المسلم، يتألم لألمه، ويفرح لفرحه.

ونقل ابن بشكوال عنها هذه الحكاية: قال: «وحكى عنها شيخ كان يدخل إليها، قال: أتيتها، فقالت لي: أبا عبد السلام: أين بات القمر البارحة؟ فقلت: والله ماأدري؟ فقالت: لو لم أدر أين بات القمر ماظننت أني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

✕ ويبدو من هذه الحكاية، أنها انتقلت في مقامات التصوف إلى الدرجات العليا منها، أو أنها كانت من علماء الفلك، عالمة بالبروج والمنازل، والله أعلم.

قال عنها ابن الزبير في : صلة الصلة. بعدما نقل ماذكره ابن بشكوال في الصلة: ودفنت بالربض من قرطبة، ولما توفيت لم ير على نعش امرأة قط، ماروي على نعشها، ولم يفسر ذلك . هكذا قال ابن الزبير، نقول: وتفسيره واضح، أن أهل قرطبة خرجوا في جنازتها لتوديع عالمتهم، الخيرة، الفاضلة، العابدة، لمعرفتهم بصلاحها، وتقواها، ولما كان لها في قلوبهم من محبة، وود، وتقدير، ولولا انتفاعهم بعلمها، وسلوكها، مافعلوا ذلك، وقديما قال علماؤنا رحمهم الله "بيننا وبينكم الجنائز" فهي تظهر مقدار محبة الناس للعالم أو العالمة، فالعالمة القرطبية، فاطمة بنت يحيى المغامي، عاشت للعلم، وإعطاء المثل في الاستقامة والتقوى، والغيرة على القيم الإسلامية، فنالت حظها من المكانة والتقدير، وهي رحمها الله ممن قال فيهم بشر الحافي، الصوفي الشهير:

"حسبك بقوم موتى تحيى القلوب بذكرهم، وقوم أحياء لايستفاد منهم" فهي من النوع الأول، رحمها الله ورضي عنها.

(تتمة ص1)

وهكذا يتدخل الله عز وجل في ترتيب صفة الزمان والمكان ويرفض ما كانت تقوم به بعض القبائل العربية بواسطة صفتين يزعمون أنهم يحرمون ويحللون حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية والقبلية ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا مع ماضي المسلمين وحاضرهم، يثبت الثقافة الإسلامية الصحيحة المبنية على تشريع من الله عز وجل، ولادخل لإرادة الإنسان فيها إلا بتبنيها ونشرها بين الناس، حتى يكون الجميع على علم بأحكام الله عز وجل.

وجاءت الفقرة الرابعة والعشرون من الخطاب النبوي لتتناول قضية الزمان وتحديد أسماء الأشهر الحرام، فقال صلى الله عليه وسلم "إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت؟ اللهم فأشهد".

والثلاث المتواليات من الشهور المحرمة هي ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم، ورجب جاء منفردا بين جمادى الثانية وشعبان.

وهكذا جعل الله عز وجل حدا للتلاعب بالزمان والزيادة فيه والنقصان حسب حاجة القوم.

والزمن كما هو معروف مكون من اعتبارين، سنة شمسية وسنة قمرية، والسنة الشمسية هي عبارة عن عودة الشمس إلى نقطة في الفلك مرتبطة بحركتها، وتتم هذه الدورة في الثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع اليوم، إلا كسرا قليلا وترتبط بهذه الحركة الفصول الأربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء، خلال أربع سنوات يجتمع من الربع يوم يوم خاص، أضيف إلى شهر يبراير، الذي يصبح تسعة وعشرين يوما كل أربع سنوات، وهكذا تبقى الدورة السنوية النباتية في فترة واحدة لاتتبدل ولاتتغير، والشهور في موقعها بدون تقديم ولاتأخير.

بينما السنة القمرية وهي التي تطلق على حساب موقع القمر، ودورته على الأرض، فحسابها يتحدد في ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما وخمس اليوم، وبسبب أن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام وإحدى وعشرين ساعة وخمس الساعة تقريبا فإن هذا النقصان جعل السنة الإسلامية، تمر على جميع فصول السنة الشمسية وتعود لبدايتها مرة كل ثلاث وثلاثين عاما، وبهذا الفرق بين السنتين الشمسية والقمرية، يعيش المسلمون أيام أعيادهم وصيامهم وحجهم في خلال الفصول الأربعة، فالذي يعيش في صيامه أكثر من ثلاث وثلاثين عاما يكون صام في جمع أيام السنة، صام في الربيع والصيف والخريف والشتاء، وصام الأيام الطويلة والأيام القصيرة، ونفس الأمر بالنسبة للحج فمن داوم على الحج كل عام لمدة ثلاث وثلاثين عاما يكون حج في جميع الفصول الشمسية، وهكذا يمكن أن نصل إلى حقيقة واقعية وهي أن التاريخ الهجري الذي التزمه المسلمون هو تاريخ دقيق ينتقل بالمسلم من الصيام في الشتاء إلى الصيام في الصيف ومن الحج في الربيع إلى الحج في الخريف فيعيش مع عبادته أيام العام كله. بهذا التحليل ننهي وقفتنا مع الفقرتين الخاصتين بالحديث عن الزمن وتقسيمه وحلاله وحرامه، وإلى لقاء آخر في عدد مقبل إن شاء الله.

الوثاق

اختصار كتاب النظر في أحكام النظر

للشيخ المحدث علي بن عبد الملك ابن القطان

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كرم

الحلقة السابعة

حمدا لله أهل الحمد ومستحقه، فإني قصدت إلى اختصار كتاب النظر في أحكام النظر، للشيخ الفقيه المحدث أبي الحسن علي بن عبد الملك بن القطان، إذ هو كتاب جليل القدر، عظيم النفع، فقير المثل، والداعي إلى اختصاره أن بعض أهل الدين الباحثين عما يلزمهم في أمور دينهم، ممن ليس لهم باع في العلم، إذا رام طلب مسألة منه، شق عليه استخراجها منه، لما اشتمل عليه الكتاب من سياق الأدلة، من الكتاب والسنة، وحجج الخواص من أهل العلم، فقصدت لتجريد مسائله ليسهل على المبتدئين والمريدين النظر فيه، والله تعالى يجعله خالصا لوجهه بفضله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

.... **مسألة:** فإن كان نظره من ذات محرمه إنما هو إلى ما بين ذلك وبين العورة مما لا ينظر إلا بقصد كالصدر والبطن ومراقه والشعر ونحو ذلك قيل له يجوز بإطلاق، وقيل يشبه أن يكون مذهب أبي حنيفة قال العثور منهم وينظر الرجل من ذات محرمه إلى الوجه والرأس والساقين والعضدين ولا ينظر بطنها وظهرها ولا بأس أن يمس ما جاء أن ينظر إليه منها، وقيل يجوز ذلك بإطلاق وروي عن مالك لا يجوز أن يرى أمه عريانة ويحتمل أن يريد بادية العورة ويحتمل أن يريد الجسم وينبغي أن يحرر ذلك باعتبار قربهم وبعدهم، وليس الأب كأب البعل، الأب أحرى في الجواز، وأبو البعل أحرى في المنع دلت الآية على جواز إبدائه ما يشتركون فيه وليس ذلك إلا مواضع الحلي الخفي كالسوار والقلادة والقرط والخواتم، وفي الخلخالين نظر، ولو قلنا أن القدمين كاليدين ومثل مواضع الزينة الأخرى التي هي الكحل والسواك هل يشترك كجميع ممن في الآية في جواز إبداء ذلك إليهم، فإذا جاز لها بنص الآية إبداء ذلك لجميعهم فما معنى منع المانع بإطلاق لجميعهم أوليائهم وإذا جاز بدليل للأب أن ينظر إلى الصدر والبطن والظهر فما معنى إجازة المجيز بإطلاق، وأبو البعل وابنه ليسا في ذلك كالأب فالذي ينبغي أن يقال به هاهنا هو أن هذه المواضع التي فرض فيها الكلام ما هو مستورا إلا أن يظهر بقصد كالبطن والصدر.

❖❖❖❖

والعنق وما فوق السرة ونحو ذلك لا يجوز لأحد ممن ذكر في الآية النظر إليه إلا البعل، هذا الذي لاشك فيه، وأما الأب والابن فموضع نظر، إذ الاباحة إنما أباحت ما يشرك قريبهم وبعيدهم، واما من عداهم، كالاخوة أو بينهم أو بني الأخوات أو عبدها أو من لا ارب له، فلا سبيل لهم إلى النظر، إذ لا سبيل لها إلى إبداء، وقد قال بعض الناس، أن الخلاف المذكور فيما عدى القدمين فإنهما كالوجه يكره إبداؤه.

❖❖❖❖

مسألة من ذوات المحارم ومن في نظر ذي محرمها إليها خلاف، كأم الزوجة، جوز مالك نظره إلى شعرها، ذكر ذلك ابن المواز عنه، ومنع من ذلك سعيد بن جبير، لا ينبغي الإقدام على المصير إليه بإطلاق، والذي لاشك فيه جواز النظر إليه منها إلى وجهها وكفيها، فإن ذلك قد جاز النظر إليه من الأجنبية والزيادة عليه عندي موضع توقف.

❖❖❖❖

مسألة ربيبته أيضا يعني بذلك بنت امرأته هي أيضا كذلك، ولأن كونها في حجره قد انتهى إلى أن كان له أثر في الحرمة عند قوم نبه ذلك قوله تعالى: "وربائبكم التي حجوركم" وقول النبي صلى الله عليه وسلم، اما انها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ومثل هذا الوصف الذي قد قرأنا وسنة لا ينبغي الغاؤها فبحسب هذا يكون النظر إليها جائزا جوازه إلى ذوات محارمه العربيات وباعتبار ما في الحيلة النظر الذي يحرك الشهوة يجب المنع، ولا أعرف فيها من القول بالمنع ما أعرف في التي قبلها.

❖❖❖❖

مسألة: جوز مالك أن يرى شعر امرأة ابنه والقول فيها عندي كالقول في امرأته .

❖❖❖❖

مسألة اخت امرأته عندي بالمنع أحرى، وذلك من فيها الحرمة التي بينه وبينها ليست كالحرمة التي بينه وبين أم زوجته، فإن هذه حرمة تزول، وتلك لا تزول، وغض البصر واجب بإطلاق وقد قال مالك رحمه الله تعالى. يبتعد منها ما استطاع.

❖❖❖❖

مسألة جوز الأب جائز النظر إلى المشترك مما تبديه بلا نزاع،

❖❖❖❖

مسألة أم الرابية هل يجوز له أن ينظر منها إلى ما ينظر من زوج أبيه، الظاهر المنع، بقاء على الأصل، والسيد ليس بعلا، وروى ابن القاسم عن مالك أيسافر الرجل بأم ولد أبيه ويحملها على الدابة، وبعضها إليه، ولو صارت في عصمة غير أبيه، قال لا أحب أن يسافر بها، ولا يعجبني، فارقها أبوه أو كانت تحته، وهو ظاهر لأنها منه أجنبية.

❖❖❖❖

مسألة: إذا كانت المنظور إليها أجنبية غير ذات محرم ان كانت صغيرة، هل يجوز النظر إلى وجهها أم لا؟ في ذلك قولان كما في الكبيرة، والأظهر إذا كانت لا تشتهى لصغرها، الجواز فإن كانت تشتهى جاز ما لم يخف الفتنة، أو يقصد اللذة، ومن الفقهاء من قال، الأظهر المنع، نظرا إلى جنس الأنوثة، اما نظره إلى فرج الأجنبية الصغيرة، فإنه لا يجوز، لا أعلم في ذلك خلافا وكذلك حكى الغزالي المنع، ولم يحك خلافا.

❖❖❖❖

مسألة فإن كانت هذه الأجنبية كبيرة،

مسألة فلا خفاء بتحريم نظر الأجنبي إلى ما عدى وجهها وكفيها وقدميها، كالصدر والبطن والعنق والشعر، وما فوق السرة، ولاظهر، هذا موضع لا يجوز له النظر إلى شيء منها أصلا، وهذا ما لا خلاف فيه،

❖❖❖❖

مسألة اما نظره إلى وجهها منع من يجوزه وهو مذهب الحنفية بشرط الا يخاف فتنة، ومنهم من جعله مكروها، ومنعهم من حرمه بإطلاق، والأقوال الثلاثة للشافعية، ويمكن أن يقال أن مذهب مالك المنع، وانه لا يجوز النظر إلا من ضرورة، وإلى هذا ذهب ابن رشد، وقد تقدم التنبيه على مواضع يفهم ان مذهب مالك خلاف هذا من جواز النظر إلى وجهها، ومذهب القاضي أبي بكر تحريم النظر إلى وجه المرأة إلا من ضرورة خطبة وقد قدمنا انه جائز للمرأة ابداء وجهها وكفيها، فإذا النظر إلى ذلك جائز لكن بشرط الا يخاف فتنة، ولا يقصد لذة، فإن قصد اللذة وخاف الفتنة، حرم النظر، وإذا قصد اللذة ولو قيل انه لم يخف كذلك، بل وكذلك لابنته، وإذا لم يخف ولم يقصد فهو موضع خلاف، فإن تحرك أمسك وإذا لم يقصد وخاف فالمنع ولابد.

❖❖❖❖

مسألة نظره إلى القدمين الكفين من الحرة الأجنبية المشتهات ينبني القول فيه على ما تقدم مما تبديه للأجانب من زينتها الظاهرة، فمنهم من قال يجوز إبداء الوجه خاصة، ومنع من زاد الكفين، وبه قال ابن جبير، والأوزاعي، زاد ابن عباس نصف الذراعين، وهو الصواب عندي ومن قال بإبداء شيء من ذلك يجيز النظر إليه، ومنهم من قال ظهور القدمين ليسا بعورة ولا يلزم سترهما في الصلاة، فهؤلاء يجيزون النظر إلى الوجه والكفين، وظهور القدمين، ولا يجوز القبض على يد الأجنبية.

❖❖❖❖

مسألة فإن كانت عجوزا قد بلغت من السن ما لا تتحرك شهوة بالنظر إليها، الاظهر عند الغزالي المنع، بناء على أصل القائلين بالمنع من النظر إلى وجه الأجنبية مطلقا، وسوى بين الكبيرة والصغيرة والشابة، بحيث انهما بالجملة موضع وطء، والشهوات غير منضبطة، والكل ساقطة لاقطة، وإذا كان مختارنا جواز النظر إلى وجه الشابة، ما لم يخف الفتنة، فهذه أحرى بالجواز.

❖❖❖❖

مسألة فإن كانت الأجنبية أمة مسلمة هل هي في جواز النظر إليها وامتناعه مثل الحرة أم لا؟

اختلف في ذلك فمنهم من قال أنها كالحرة سواء حكاه الغزالي، قولان، وقال هو القياس منهم من قال انها للرجل كالرجل للرجل، وقد تقدم ما قال ابن عبد البر، أنه مجمع عليه، وتقدم نقض هذا الإجماع، ومنهم من قال ينظر منها ما ينظر من ذوات محارمه، والصدر والساقين والعضدين، ولا ينظر إلى بطن ولا ظهر، وروى عن الحنفية، والأظهر أنه موضع حذر وتوقف، فإن من الإماء من هي أحسن من كل حرة، فإطلاق نظر الرجال إلى محاسنهن، بخلاف للمتغرر شرعا من وجوب غض البصر عما يجلب للهوى، ولا يلزم من إجازة إبدائها أكثر من الحرة جواز النظر إلى ذلك.

❖❖❖❖

مسألة امة له بعضها هي في النظر كأمة الغير،

❖❖❖❖

مسألة إذا كان بعضها له، وبعض حر، نص مالك أنه لا يجوز النظر إليها، يعني الا كما يجوز له النظر إلى الحرة الأجنبية،

❖❖❖❖

مسألة امته في كل ما قلناه كزوجة ما لم يزوجها، فإذا زوجها حرم عليه الاستمتاع بها، وصارت بمنزلة ذوات محارمه، فلا يجوز أن ينظر إليها بقصد شهوة، ولا أن ينظر منها ما بين السرة والركبة، كما لا ينظره من ذوات محارمه، ولا ينبغي أن يختلف في ذلك،

❖❖❖❖

مسألة فإن كانت حرة أجنبية كافرة هل هي في جواز النظر إليها كالمومنة أو أقل حرمة؟ يظهر أنها كالمومنة ولا أعرف خلافا في ذلك،

❖❖❖❖

مسألة كل ما قلناه انه لا يجوز أيضا إذا ماتت وما لم يك النظر إليه جائزا، أحرى فالمنع بعد الموت وذلك ان الميت حدث له حرمة بالموت، لم تكن للحي، فإذا كان النظر في حال الحياة خوف الافتتان، وعدم ذلك في المسة فإن الحرمة الحادثة مستقبلة بالمنع، وانا أظن انه لا خلاف فيها، ومن أجل ذلك تكلم الفقهاء في مسألة جواز غسل الرجل لها عند عدم النساء، وقد منعوا زوجها من النظر إلى فرجها إذا غسلها، وقد روى أشهب عن مالك في المرأة تموت بفلات ومعها ابنها أيغسلها؟ قال ما أحب أن يلي ذلك منها، قيل أييممها؟ قال يصب الماء عليها من فوق ثوب، أحب إلي، فانظر كيف منعه موتها من نظر ما كان جائزا له النظر إليه في حياتها، مما عدا العورة، وهكذا قولهم في سائر ذوي المحارم الاخ والأب وغيرهما.

في ظلال الحديث

الحديث الثامن والثلاثون والمائة(138) :الإحسان : حقيقته وفضله (2/1)

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال... يارسول الله ما الإحسان قال "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" متفق عليه واللفظ للبخاري.

تخريج الحديث :

هذا الحديث جزء من الحديث المعروف بحديث جبريل، رواه البخاري في صحيحه باب سؤال جبيرل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (50/27/1)، وباب إن الله عنده علم الساعة (4499/1793/4)، ومسلم في كتاب الإيمان، بيان الإيمان والإسلام والإحسان (8/37/1)، وابن حبان في صحيحه، باب الخبر الدال على أن الإيمان والإسلام اسمان بمعنى واحد (159/375/1) وابن خزيمة في صحيحه، بابا بيان أن إيتاء الزكاة من الإسلام (2244/5/4).

درجة الحديث : حديث متفق عليه، رواه الشيخان.

سند الحديث: هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وقال: حدثني إسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكر الحديث، وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثني إسحاق: هو أبو يعقوب، إسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن راهويه التميمي ثم الحنظلي المروزي، الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ، الحنظلي المروزي نزيل نيسابور، كان مولده في سنة 161 بحمص، لقي الكبار وكتب عن خلق من أتباع التابعين.

وحدث عنه بقية بن الوليد ويحيى بن آدم وهما من شيوخه وأحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وهما من أقرانه وإسحاق بن منصور ومحمد بن يحيى ومحمد ابن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج في صحيحهما وأبو داود والنسائي في سننهما، وخلق سواهم، توفي رحمه الله سنة 238.

عن جرير: هو أبو عبد الله، جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الرازي القاضي ولد بأية قرية من قرى أصبهان ونشأ بالكوفة، كان ثقة كثير العلم يرحل إليه، روى عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر وزيد بن عطاء ابن السائب وسفيان الثوري وسليمان الأعمش وسليمان التيمي وسهيل بن أبي صالح وإسحاق بن راهوية، قال أحمد بن عبد الله العجلي كوفي ثقة وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم ثقة يحتج بحديثه وقال النسائي: ثقة وقال أبو القاسم اللالكائي مجمع على ثقته، روى له الجماعة. توفي رحمه الله وهو ابن سبع وسبعين سنة 188.

عن أبي حيان: هو أبو حيان، يحيى بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي، روى عن أبيه سعيد بن حيان التيمي والضحاك بن المنذر وعامر الشعبي وعكرمة مولى ابن عباس وأبي زرعة بن عمرو بن جرير، وروى عنه ابراهيم بن عيينة وأيوب السختياني وحماد بن سلمة وخالد بن عبد الله الواسطي وسفيان الثوري وسليمان الأعمش وهو من أقرانه وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك. وكان سفيان يعظمه ويوثقه وقال يحيى بن معين: ثقة، وقال العجلي، ثقة صالح مبرز صاحب سنة، وقال أبو حاتم: صالح وذكره بن حبان في كتاب الثقات وقال مات سنة خمس وأربعين (145)، روى له الجماعة.

عن أبي زرعة: هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، رأى علي بن أبي طالب، وكان انقطاعه إلى أبي هريرة وسمع من جده أحاديث وكان من علماء التابعين، روى عن ثابت ابن قيس النخعي وجده جرير بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان وأبي ذر الغفاري وأبي هريرة... وروى عنه عمه إبراهيم بن جرير بن عبد الله البجلي، والنخعيون، وعبد الله بن شبرمة الضبي وغيرهم، قال يحيى ابن معين: ثقة، وقال ابن خراش: صدوق ثقة. روى له الجماعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: اسمه عبد الرحمن بن صخر، قدم المدينة سنة سبع والرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر، فسار إليه وأسلم على يديه ولازمه ملازمة تامة رغبة في العلم، ولذا كان أكثر الصحابة رواية ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، روي عنه (5374) حديث، فهو الصحابي الجليل، الإمام الثقة الحافظ الفقيه، ترجمته رضي الله عنه تعتبر من أهم وأعظم التراجم لطلبة العلم، قال رضي الله عنه في شغفه وحبه للعمل وسبب ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك: "يقولون إن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لايتحدثون مثل أحاديثه، وسأخبركم عن ذلك: إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا". عاش في كنف العلم والإيمان، وتوفي رضي الله عنه وعمره 80 سنة، ودفن بالبقيع.

أهمية الحديث: هذا الجزء من حديث جبريل. كما هو معلوم. يعالج مسألة هامة وأساسية في حياة المؤمن، وهي مقام الإحسان، ذلك المقام الذي ينبغي على كل مؤمن أن يجاهد نفسه ليصل إليه، فهو أسمى المطالب وأقصى الغايات في التقرب إلى الله تعالى، حيث يجعل المؤمن يديم استحضار مراقبة الله تعالى في الأعمال الدنيوية والدينية على السواء.

مفردات الحديث :

"الإحسان" في اللغة: ضد الإساءة، وهو مصدر أحسن إذا أتى بما هو حسن، وفي الاصطلاح: الإتيان بالمطلوب شرعا على وجه حسن.

"كأنك تراه": بأن تكون في غاية الخشوع حال العبادة، وهذا هو مقام المكاشفة.

المعنى العام

تقديم:

لقد أوضح صلى الله عليه وسلم الإحسان في حديث جبريل عليه السلام المشهور حين سأله عن الإسلام والإيمان، فأجابه عن كل منهما، وكان جوابه عندما سأله عن الإحسان، أن قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه البخاري ومسلم.

فقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث معنى الإحسان : وهو أن يفعل الإنسان ما تعبده الله به كأنه واقف بين يدي الله، وذلك يستلزم تمام الخشية والإنابة إليه سبحانه، ويستلزم الإتيان بالعبادة على وفق الخطة التي رسمها رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد ضمن صلى الله عليه وسلم جوابه عن الإحسان بيان السبب الحافز عليه لمن لم يبلغ هذه الدرجة العالية، والمنزلة الرفيعة، ألا وهو مقام المشاهدة والمكاشفة، أي تذكير فاعل العبادة بأن الله مطلع عليه، لايخفى عليه شيء من أفعاله، وسيجازيه على ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ولاشك أن العاقل إذا تذكر أن الله رقيب عليه أحسن عمله، رغبة فيما عند الله من الثواب للمحسنين، وخوفا من العقاب الذي أعده للمسيئين: «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) سورة ق/الآية:37.

1. فضل الإحسان:

ولمزيد عناية الإسلام بالإحسان وعظيم منزلته: نوه سبحانه بفضله، وأخبر في كتابه العزيز أنه يحب المحسنين، وأنه معهم، وكفى بذلك فضلا وشرفا، فقال سبحانه: (... وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) سورة آل عمران/الآية:148 وقال: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)سورة النحل/الآية:128 وقال: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)سورة العنكبوت/الآية:69.

2. جزاء المحسنين:

ومن رحمة الله وفضله أن جعل الجزاء من جنس العمل، ومن ذلك أنه جعل ثواب الإحسان إحسانا كما قال: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)سورة الرحمن/الآية:60، فمن أحسن عمله، أحسن الله جزاءه، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه العزيز جزاء المحسنين، وأنه أعظم جزاء وأكمله، فقال تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة...)سورة يونس/الآية:26. وهذه الآية فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه بأن الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل.

ولايخفى مابين هذا الجزاء وذلك العمل الذي هو الإحسان من المناسبة، فالمحسنون الذين عبدوا الله كأنهم يرونه جزاهم على ذلك العمل النظر إليه عيانا في الآخرة، وعلى العكس من ذلك الكفار الذين طبعوا على قلوبهم فلم تكن محلا لخشيته ومراقبته في الدنيا، فعاقبهم الله على ذلك بأن حجبهم عن رؤيته في الآخرة كما قال تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)سورة المطففين.

وكما أن جزاء الذين أحسنوا الحسنى، فإن عاقبة الذين أساءوا السواى كما قال تعالى : (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون) سورة الروم/الآية:10.

وماذكره الله في جزاء المحسنين، من زيادة رضى على رضى في نعيم مقيم في جنة النعيم، قوله تعالى: (... وسنزيد المحسنين)سورة البقرة/الآية:58. أي أن الله تعالى سيزيدهم فضلا على فضل ونعيما على نعيم، وقوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) (30) أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا (31) سورة الكهف، وقوله:للذين أحسنوا في هذه الدينا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين (30) جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزي الله المتقين (31) سورة النحل.

وقوله: (ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (31) سورة النجم، وقوله :(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (100) سورة التوبة، وقوله: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)سورة البقرة/الآية:112، وقوله: (...إن رحمة الله قريب من المحسنين)سورة الأعراف/الآية:56. إلى غير ذلك من الآيات.

وإن المتمعن في هذا العطاءات الربانية، والمنح الإلهية، يكون في غاية الشوق للوصول، ولن ينال هذه الدرجات العلى إلا السالكون في مقامات المحسنين، الذي تيقنوا غاية اليقين في كل أعمالهم، أن الله يراهم، فراقبوا الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، كأنهم يرونه، فإن لم يستطيعوا ذلك، فيستعينون بقوة الإيمان لتحقيق درجة الإحسان.

ولبلوغ درجة الإحسان في الأعمال الدينية والدنيوية، طرق ووسائل تعين المؤمن السالك إلى الله، بلوغ هذه الدرجة الرفيعة والمقام العظيم، ذلك ما سنتناوله في الحلقة المقبلة بإذن الله تعالى، سائلين إياه أن يبلغنا هذا، فإن لم يكن بعملنا ومجاهدتنا، فبفضله وإحسانه.

حديث المنابر

شكر النعمة

اعداد الأستاذ. العربي المودن

الحمد لله الذي قسم خلقه إلى تقي أواب، همته طلب الخيرات والاكتساب، وبغيته الزلفى والاقتراب، وديدنه شكر نعم الوهاب، قال تعالى : "أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب" وإلى فاجر كذاب، همته مصروفة إلى اللهو والطعام والشراب، يعمر جسمه وقلبه خراب يباب، فكيف إذا كشف الحجاب، وحق عليه قول رب الأرباب : "ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب" وأشهد أن لاإله إلا الله الملك الوهاب، الذي يعطي بدون حساب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله : "نعم العبد إنه أواب" اللهم صل عليه وعلى الآل والأصحاب، ومن تبعهم وجاهد جهادهم إلى يوم الحساب. من يطع الله ورسوله فقد رشد واهتدى، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل وغوى واعتدى. اللهم اجعلنا من المهتدين ولاتجلعنا ياربنا من المعتدين...

أما بعد

فيقول الله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم المكية:

"الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الانهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ماسألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار" 3432.

وفي سورة إبراهيم كذلك: "وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم، إن عذابي لشديد".

عباد الله: إذا أردنا أن نقوم بعدّ نعم الله التي منحنا إياها. فنحن لانستطيع، وصدق الله العظيم "وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها"، وبقدر ماتتقدم الإنسانية في ميدان الاختراعات والاكتشافات، إلا وهي تتنعم بنعم الله أكثر، وانظروا رحمكم الله إلى النص الذي تلوته من سورة إبراهيم، لتروا عدد النعم الهامة التي تحدث عنها الخالق سبحانه، ولينظر كل واحد منا إلى تركيب جسمه ليرى مابه من نعم "قال تعالى:" وفي أنفسكم أفلا تبصرون" ومن أعظمها نعمة الإيجاد، ومن أعظمها نعمة التمييز بين الصالح والطالح، ومن أعظمها نعمة الإيمان والإسلام، ومن أعظمها ماهيأه الله لعباده الصالحين في الجنة، فيها مالاعين رأت، ولا إذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر.

هذه النعم أيها الاخوة تستوجب الشكر الدائم المتكرر، وشكر النعمة يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها، ويرضى الناس عنها، وعن صاحبها، فيكونون عونا له على الحق. وشكر العبد للنعمة دليل على طاعته لله ولرسوله، ودليل على صلاحه في مجتمعه، ودليل على استقامته وتقواه، ودليل على أنه يحب لغيره مايحبه لنفسه، ودليل على أنه جدير بتحمل أعباء الأمانة، شكر العبد للنعمة دليل على وعيه وتبصره بالعواقب، شكر العبد للنعمة، دليل على رجولته وعلى حكمته.

أيها الأخوة: من الآداب في العرف أنه من أسدى إليك جميلا، أو قدم لك معروفا، تشكره على مافعل، وتثني عليه بما صنع، وإن رب العالمين، رب الإنس والجن، رب كل شيء، قد ربانا فأحسن تربيتنا، فربى أجسامنا بما خلقه لنا من المأكولات والمشروبات، والملبوسات والمسكونات، والمركوبات والمشمومات، وربى عقولنا ونماها منذ أن كنا أطفالا لا نفقه شيئا في الحياة، تعهدنا بلطفه، ورحمته، حتى صيرنا رجالا عقلاء، وكما ربى أجسامنا وعقولنا ربى أرواحنا وهذبها بخير خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أستاذ الإنسانية كلها الذي أخرجنا بعون الله وتوفيقه من ظلمات الشرك والضلال، إلى نور الحق، فالحمد لله وحده، والشكر له على نعمه، والثناء عليه بما هو أهله.

وماشكره وحمده إلا بقيام كل عضو بوظيفته، فاللسان يتكلم بالحق، والأذن تسمع الخير، واليد تمد الناس بالمعونة ، شكره وحمده سبحانه أن تكون لأوامره ممتثلا، ولنواهيه مجتنبا، شكره وحمده أن تسعى في إصلاح نفسك وأهلك وقومك، شكره وحمده سبحانه أن تقدم كل ماتستطيعه من الخير للناس، شكره وحمده أن تتحرك لدينه، شكره وحمده أن تدفع كل ماتستطيع دفعه من الشر عن الناس، وأي شر أعظم من شر الشرك؟ أي شر أعظم من شر التفرقة؟ أي شر أعظم من الشر الذي دخل على المسلمين من جميع الأبواب، وهم في عقر ديارهم؟ أصبح المسلمون يهددون من طرف الجبابرة الذين أفسدوا على المسلمين دينهم، وسدوا أمامهم طريق الفهم الصحيح لهذا الدين العظيم! أي شر أعظم من وضع أموال المسلمين وثرواتهم في بنوك اليهود ليستفيدوا منها في تقتيلنا وتخريب ديارنا، وأخيرا إذا تكلم المسلمون عن حقهم، وأبدوا نوعا من التضامن الذي جاء به الإسلام وحث عليه. هددوا في أموالهم، وأوطانهم، يارب ألهم المسلمين إلى طريق الخلاص، وشتت شمل أعدائك أعداء دينك، وأعداء أمة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها الإخوة: حمد الله وشكره لايكون بكلمات تقال، ليس لها دليل من الأعمال، الشكر يكون باللسان وبالجوارح والقلب وباختصار، فإذا شكرنا ربنا الشكر الإسلاميّ الحقيقيّ، زادنا ربنا من نعمه، زادنا من توفيقه، وخلق في قلوبنا الاطمئنان والهداية إلى كل خير وأعطانا قدرة على التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، وإذا لم يشكر الإنسان ربه تركه في غيه يعمه، لايدري مايفعل، يظهر له الحق الخالص باطلا، ويظهر له الباطل حقا، ونعوذ بالله من هذا الوضع.

كان السلف الصالح أيها الإخوة إذا شكر ربه استعد للمزيد، لأنه عرف قوله سبحانه "لئن شكرتم لأزيدنكم" وهذا وعد من الله، والله العظيم لايخلف وعده "إن الله لايخلف الميعاد" أين هي الأذان الصاغية؟ وأين هي القلوب المتفتحة؟ كلنا نحب المزيد بالليل والنهار، ولم نسلك سبيله، فسبيل المزيد من نعم الله طاعته وشكره على نعمه وإن تشكروا يرضه لكم" فالشاكرون لنعم الله هم المستفيدون ، وهم قلة "وقليل من عبادي الشكور".

فالشاكرون لنعم الله هم السابقون "والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين" من صفا صفيّ له، ومن كدّر كُدِّر عليه. السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة إلى الجنات، فإن السبق هناك على قدر السبق هنا، اليوم جنان الشكر والمحبة والعرفان، وغدا جنان القرب والجنة والرضوان.

أختي: أخي: إنما خلقنا لنحيا مع الخالق في دار غرس غراسها الرحمن بيده "إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان، فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون.

سلم المبيع قبل أن يتلف في يدك، فلا يقبله المشتري، قد علم المشتري بعيب السلعة، قبل أن يشتريها فسلمها، ولك الأمان من الرد، قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها، والثمن المبذول فيها، والمنادي عليها، فإذا كان المشتري عظيما، والثمن خطيرا، والمنادي جليلا، كانت السلعة نفيسة.

أخي: إن هممت فبادر، وإن عزمت فثابر، واعلم أنه لايدرك المفاخر، من رضي بالصف الأخر.

أخي: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا، فنافسه في الآخرة، ومن نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنيا فألقها في نحره، وإذا استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

قال عمر بن الخطاب رضي الله: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماأبقيت؟" فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ماعنده، فقال: "ياأبا بكر، ماأبقيت لأهلك؟ "قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لاأسبقه إلى شيء أبدا.

لله درك من صديق!

اللهم اجعلنا من السابقين المقربين، اللهم اجعلنا من الشاكرين لنعمك.

اللهم اجعلنا من المتحركين لدينك، اللهم أصلحنا وأصلح بنا... نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبأحاديث سيد المرسلين.

إن الحمد لله نحمده تعالى...

أيها الإخوة: قال داود عليه السلام: كيف أشكرك يارب، والشكر نعمة منك؟ قال الله سبحانه: الآن قد عرفتني وشكرتني، إذ قد عرفت أن الشكر مني نعمة. قال: يارب ، فأرني أخفى نعمك علي، قال: ياداود. تنفس، فتنفس داود، فقال تعالى: من يحصي هذه النعمة الليل والنهار؟ وقال موسى عليه السلام: كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها بيدي من نعمك لايجازى بها عملي كله. فأوحى الله إليه: ياموسى الآن شكرتني، وقال أحد السلف: الشكر العجز عن الشكر، وقال أحد السلف: الشكر: التواضع والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة جبار الأرض والسموات، والشكر يكون لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجد فادعوا له، ولمن دونك بالإحسان والإفضال له.

أيها الإخوة: إياكم وعدم الشكر لله سبحانه، إياكم والكفر لنعم الله، فإن الجحود ونكران الجميل، شر مايبتلى به الإنسان، فهو يجعل المرء غير مبال بأنعم الله، ولامهتم بما وهبه من إفضال فيبددها في غير طائل ولامنفعة، فتتحول النعمة إلى نقمة، والمنحة إلى محنة، وتذهب الصحة والثروة، وتضيع الاء الله عبثا، ومن ثم كانت عاقبة الجحود والنكران الشوأى والعذاب المدمر، يقول تعالى : "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة، ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه ، فأخذهم العذاب وهم ظالمون، فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون" سورة النحل/الآيات: 113.112.111.

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها، أو بإنكار أن الله واهبها. ونسبها إلى الطبيعة، وإلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي، كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله، وقد يكون الكفر بالنعمة بسوء استخدامها بالتكبر على الناس، واستغلالها للشهوات والفساد، وكله كفر لنعم الله، وإذا كان شكر النعمة سببا في المزيد، فإن الكفر سبب في سلبها وذهابها، واقرؤوا إن شئتم قصة أصحاب الجنة أي البستان من قوله تعالى : " إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا... الآيات.

فلما كان أبوهم يشكر نعم الله، ويطعم الفقراء والمحتاجين، كان الله يزيده، ولما مات وورث أبناؤه بستانه كفروا بنعمة الله، وحرموا الفقراء والمساكين من حقوقهم حرمهم الله من البستان بكامله.

اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا، اللهم اجعلنا من الشاكرين لنعمك، ولاتجعلنا من الجاحدين لها ياأرحم الراحمين، الدعاء لعامة المسلمين، ولامير المومنين بالتوفيق والنصر والتأييد.

في رسم بعض حروف التنزيل

الأستاذ الحافظ سيدي إبراهيم بن أبي جمعة

الحلقة الثانية

■ وأما هاروت وماروت وهامن وقارون فالمختار الإثبات، وأما لفظ أريت حيث جاء فالمشهور فيه الحذف. وكذلك لفظ الريح المشهور في الجميع الحذف، وكذلك لفظ البرك كيفما كان المشهور فيه الحذف، وأما لفظ كاتب فالمشهور فيه الإثبات أي في الفاظ كاتب الأربعة وأما لفظ صالحين، وخالدين، فللأشياخ في رسمها ضبط عظيم، والذي كنا نأخذ به عن الشيخ رحمه الله الإثبات، وقول من قال إنهما داخلان في صلح وخلد ليس بشيء، وهذا الموضع قد تعددت فيه التعاليل وماذكرناه فيه كفاية في كلام أبي داوود ما يعطي أن الألف فيهما ثابت والله أعلم.

وأما والدتك هل يدخل تحت مثال الشيخ في قوله أحطت والده أولا؟ فالجواب أنه داخل، لأن ولده نكرة ولدتك معرفة والنكرة أصل والمعرفة فرع، وذكر الأصل يستلزم ذكر الفرع، وقد استقرأ ذلك من كلام الشيخ فوجد صحيحا، وأما قول الشيخ وكيف الولدين إنما أراد به الجنس فهو محذوف حيث كان كيف كان من غير تفصيل والله أعلم.

وأما قوله وصحبته من قوله واتحجوني كذا وصحبة فظاهره الإطلاق، ومثل الشارح بالذي في الجن وكان شيخنا رحمه الله يقول طالعت التنزيل مرارا فلم نجد أبا داوود تعرض إلا الذي في الأنعام ولم يذكر الذي في سورة الجن، فمن حذف يحذفه لصاحب المصنف لأنه عمم في لفظ صاحب وعلى قول شيخنا كنا نعتمد والله أعلم.

وأما جعل الليل وأولى فلق، المشهور حذف الألف من اللفظين، والمشهور في فالق الإصباح الإثبات وأما هانتم المشهور إثباته ألفه بناء على أن الهاء ليست للتنقية بل بدل من همزة الاستفهام وهو المشهور، وأما يليتني فهو داخل في المنادى لأن الشيخ إنما يراعي في الغالب الألفاظ ولا يراعي المعاني، وقيل هو داخل في التثنية لا في المنادى وبه قال بعض شراح المحلى وبه جزم الأستاذ الصغير قائلا هو قول المحققين قالوا أن يا الداخلة على ليت وحسرى وأسفى هي للتنبيه والله أعلم.

وأما قول الشيخ حسبنا فيتناول اللفظين وتفريقه بعض الناس بينهما حيث قال: لايدخل ماوقع في الكهف تحت كلام الشيخ لأن ماوقع في الكهف بمعنى العذاب عبث وكلام لا كلام، إذ كلام الشيخ ينصب للألفاظ لا للمعاني في مواضع عديدة منها قوله، وعنهما الكتاب، فيدخل فيه الكتاب على بابه ويدخل فيه إذا كان بمعنى الكتابة كقوله تعالى: "والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمنكم " ونحو هذا أكثر في باب الرسم والله أعلم.

وأما لفظ طيف في الأعراف وزاكية في الكهف وسحر حيث وقع فالمشهور في الجميع الحذف إلا ساحر الأخير في والذريت كما ذكر الشيخ، والمشهور الإثبات في الساحر المعرّف والمشهور في السحرة وسحرات الحذف.

وأما بنيان مرصوص فالذي كنا نأخذ به عن شيخنا رحمه الله الاثبات، وكان يقول: لم يتعرض أبو داوود لحذفه، وإنما تعرض لحذف الألف منه أبو اسحاق التجيبي وإطلاق الخراز يوهم دخوله بالحذف، وعلى الاطلاق بشر الشراح، ومثلوا بنيان مرصوص والله أعلم.

والمشهور في كدت الحذف لأن المصنف إذا انفرد بالحكم قوي، والمشهور في ادعائهم في الأحزاب الإثبات، وفكهة في "يس " المشهور فيه الحذف، والمشهور في لاتخف دركا ويدفع الحذف وفنظرة الحذف في الثلاثة الألفاظ، وكذلك بهدي معا أي العمل فيهما على الحذف، وكذلك سرجا في الفرقان العمل فيه على الحذف، وأما مهدا في طه ففيه وجهان والمختار الحذف من جهة أن الشيخ استدرك الاستثناء بعد العموم، وأما الألفان من مدهامتين فقد خير أبو داوود الكاتب في حذفهما معا، واثباتهما معا، والذي كنا نأخذ به حذفهما معا.

وأما كذا بالأخير في النبأ وريحان في المزن، والمرجان في الرحمن فالمشهور الإثبات في الجميع.

وأما ماذكرتم من أن صورة الهمزة في يستخرون ويستذنونك والمستنسين وشبه ذلك هل تثبت على قراءة قالون أو تحذف فلا أعلم فيها إلا الحذف، إلا ما ذكره الشيخ في استثناء يستخرون في الأعراف لغير المنصف لايستلزم كونها صورة للهمز إن ثبتت الا ترى في ادارتم ونحو الألف صورة للهمزة مع أنهم اجمعوا على حذفه، ولافرق في الإلحاق بين قراءة قالون وورش لأنهما معا أخذا عن نافع والشيخ تعرض لرسم نافع حيث قال وفق قراءة أبي رويم البيت إذا فتلحق لهما معا.

وصفة الالحاق على قراءة قالون كما ترى هكذا يستخرون فاستذنوك ولامستنسين وما أشبه ذلك، إلا أنه بقي على الشيخ في الذيل أن يذكره حيث قال: والحقن الفا توسطا وهي ليس بألف على قراءة قالون إنما هو صورة الهمزة.

وكان شيخنا رحمه الله يدخل ادخال الألف من هذه الأشياء تحت قول الشيخ والحقف الفي ادارتم لأنه مثله في الحكم والله أعلم.

وأما القهار في سورة يوسف فظاهر كلام الشيخ الخراز اثبات الألف منه حيث خصص الحذف بما في الرعد، واضطربت نسخ التنزيل فيه، أي فيما سورة يوسف، وتقدم لنا فيه كلام طائل عند الشيوخ وكان شيخنا رحمه الله يأمرنا بحذف الألف منه اعتمادا منه على نسخة من التنزيل، وهو قول أبي داوود فيها الواحد والقهار بحذف الألف بعطف القهار على الواحد والله أعلم.

■ أعدها: ادريس كرم

معرفة الله تعالى

■ للعالم الصالح سيدي أبو عمران الجروراني

■ بالمخلوقات يعرف الخالق، كما بالمصنوعات يعرف الصانع والدليل على ذلك العقل والنقل، فأما النقل فقوله تعالى، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه ، فقد عرف ربه.

وأما العقل فوجود الفعل من غير فاعل محال، ووجود التوبة من غير ناسج محال، وانقلاب التراب طينا مبلولا ثم لبنا مضروبا ثم قصرا مشيدا من غير صانع حال والمحال مالا يتصور وجوده في العقل، واجتمعت العقلاء على أن الشاهد يدل على الغائب. وقال بعض الشيوخ من أراد أن يعرف ربه فليعرف نفسه، فإن كان حالة من أحواله تدل على صفة من صفات ربه حدوث بقدم، وجعل بعلم وعجز بقدرة، ونقص بكمال، وفناء ببقاء.

وهذا الكلام في اثبات الصانع وهو الله وهو معرفة التوحيد على ثلاثة أقسام، قسم فيما يجب لله تعالى، وقسم فيما يستحيل عليه، وقسم فيما يجوز في حقه.

فالقسم الذي يجب له، الوجود، والقدم، والبقاء والوحدانية، والكمال، والقدرة، والإرادة، وإنه قائم بنفسه، وإنه مخالف لخلقه، والذي يستحيل عليه العدم والحدوث والفناء، والشريك والنقص والعجز والصاحبة، والولد، والوالد، وما أشبه ذلك.

والذي يجوز في حقه إيجاد الخلق بعد عدمهم وعدمهم بعد وجودهم ووجودهم بعد عدمهم وانبعاث الرسل وخلق الأفعال، فلا يجب عليه تعالى فعل، ولاينحتم عليه ثواب ولا عقاب فالثواب منه فضل، والعقاب منه عدل، يخص من يشاء بما يشاء، لايسأل عما يفعل وهم يسألون وأما معرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فعلى ثلاثة أقسام : قسم فيما يجب لهم، وقسم فيما يستحيل عليهم، وقسم فيما يجوز لهم.

فالذي يجب لهم الصدق وأداء الأمانة وتبليغ الرسالة واتباع الحق في أقوالهم وأفعالهم، والذي يستحيل عليهم الكذب والخيانة واتباع الباطل في أقوالهم وأفعالهم، والذي يجوز لهم مايجوز لسائر البشر من الأكل والشرب والنوم والبيع والنكاح والنسيان في غير ما أمروا بتبليغه عليهم الصلاة والسلام.

ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فعلى ثلاثة أقسام، أمر ونهي وخبر، فالخبر على ثلاثة أقسام قسم على الدنيا وانقراضها، وقسم على الرسل وامامها وقسم على الأخرة ودوامها.

فإن قيل لك فماذا ثبت الثواب والعقاب ، فتقول بالطاعة والمعصية، وبماذا ثبت الطاعة والمعصية فتقول بالأمر والنهي، وبماذا ثبت الأمر والنهي، فتقول بالسمع، وبماذا ثبت السمع فتقول من قبل الرسول، وبماذا ثبت الرسول، فتقول بالمعجزة فإن قيل لك بماذا ثبت القرآن فتقول بالتواتر والتواتر خبر أقوام بلغوا في الكثرة إلى حيث حصل العلم بقولهم، وقيل إنه نقل خلف عن سلف، وإن قيل لك بماذا ثبت القرآن أنه كلام الله، فتقول بالاعجاز، واعجازه من خمسة أوجه.

الوجه الأول: أن الرسول الذي تحدى به كان أميا معلوم الحال في عدم الاشتغال برواية الأقاصيص والأخبار، وقد أتى بعظائم الأمور ومبهمات القصاص من آدم إلى زمنه.

والوجه الثاني: إنه يزداد بكثرة تكراره حلاوة في القلوب.

الوجه الثالث إنه عجيب النظم بديع التاليف .

والوجه الرابع وهو الصحيح أن الفصحاء والبلغاء لم يقدروا على الاتيان بمثله في بلاغته وهيئة نظمه.

والوجه الخامس أنه يجنب بالغيب واجتمعت الأمة على وجوب معرفة الله سبحانه، وقال بعض الشيوخ معرفة الله تعالى أصل وما سواها فرع، ومن المحال معرفة الفرع مع عدم الأصل.

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه، أول مايجب عليك معرفة المعبود ثم تعبده، وكيف تعبد من لاتعرفه بأسمائه وصفاته، ومايجب له ومايستحيل عليه» ومايجوز في حقه، وربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا، وقد اختلف العلماء رضوان الله عليهم في إيمان المقلد على ثلاثة أقوال فقيل مومن، وقيل كافر، وقيل بالوقف لا مومن ولا كافر، وهذا إذا لم يرجع مقلده وإما أن رجع برجع مقلده، فلا خلاف في كفره، والمقلد هو الذي يقبل أقوال العلماء من غير دليل لاعقلي ولاسمعي، والمشهور أنه لايجوز التقليد في أصول التوحيد، ولذلك بشاهد من شواهده، زلت به قدم الضروري ووقع في مهوة من التلف يريد أنه من ركن إلى التقليد ولم يتأمل في دليل لاعقلي ولاسمعي والمشهور أنه لايجوز التقليد في أصول التوحيد ولذلك قال بعض الشيوخ، من لم يقف على علم التوحيد يشهد من شواهده زلت به قدم الغرور ووقع في مهوة من التلف يريد أنه من ركن إلى التقليد ولم يتأمل في دليل التوحيد سقط عن سنن النجاقت، ووقع في أسر الهلاك، وقال بعض الشيوخ،لاتصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود، ثم تعبده، ولا معرفة الرسول إلا بعد معرفة من أرسله، ولا معرفة الكتاب إلا بعد معرفة من أنزله ولا معرفة الشرائع إلا بعد معرفة من شرعها قال أبو المعالي رحمه الله من اطمأن فكره إلى تشبيه فهو مشبه، وهو مذهب الحشوية ومن اطمأن فكره إلى عدم محض فهو معطل وهو مذهب الدهرية ومن اظهر فكره إلى موجود ينتبه إليه فكره فهو مجسم، وهو مذهب القدرية من اظهار فكره إلى موجود واعترف بالعجز عن ادراك حقيقته فهو موحد فالله سبحانه واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله فوحدانية الذات لاتتجزأ ولاتنقسم، ووحدانية الأفعال ، إن الأفعال كلها لله، ما كان عن سبب أو عن غير سبب، ووحدانية الأفعال أو الأفعال كلها لله ما كان عن سبب أو عن غير سبب، ووحدانية الصفات أنه لايشاركه أحد في صفاته إلا من جهة موافقة اللفظ لأنه يقال له عالم، ويقال لغيره عالم لأن علمه ليس كعلمنا لأن علمه سبحانه محيط بالأشياء على الجملة والتفصيل، واعتقاد غيره كفر والعياذ بالله دون التفصيل، وعلمنا محدث وعلمه قديم كذاته، ومعنى القدم في حقه تعالى هو الذي ليس له بداية مفتتحة فيتقدمه العدم، ومعنى الأخوية في حقه تعالى هو الذي ليس له نهاية منقضية، فيتعقبه الفنا، والدليل على أنه تعالى مريد للكائنات تخصيص الأشياء بأوقاتها وخصائص صفاتها والدليل على أنه متكلم ترددنا بين أمره ونهيه، وكلامه ليس ككلامنا لأن كلامه ليس له حرف ولا صوت ويسمع بكل جارحة ومن كل جهة، ولا يقطعه النفس، والدليل على هذا كله قوله تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فإن قيل لك بماذا يتوصل إلى معرفة الله تعالى سبحانه فهل بالحس أو بالسمع أو بالعقل فتقول بالعقل، فإن الحس على ثلاثة أقسام: متصل، ومنفصل وما يجده الإنسان في نفسه.

فالمتصل كلما يدركه بالدوق أو بالشم أو باللمس، والمنفصل كلما يجده الإنسان بإذنه ويراه بعينه، ومايجده الإنسان في نفسه مثل الجوع والعطش، والحرارة والبرودة، وأما مايعتقده العقل فعلى ثلاثة أقسام، واجب ومستحيل وجائز.

والسمع على ثلاثة أقسام الكتاب والسنة والإجماع ويتوصل إلى معرفة الله تعالى بالسمع على قول لأن السمع نص ثبت من قبل الرسول والرسول لايثبت إلا بعد ثبوت المرسل له، والصحيح أنه لايتوصل إلى معرفة الله تعالى إلا بالعقل.

انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على محمد وآله.

ح ع ق 925

■ أعدها: ابو بكر

شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته

■ بقلم محمد العزوزي

في لسان العرب ج : 8ص :484، الشفاعة الدعاء ، والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره ، وشفع إليه ، في معنى : طلب إليه، والشافع الطالب لغيره ، يشفع به إلى المطلوب.

إلى أن قال : وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وهو السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم ، والمشفع ، بالفتح ، الذي يقبل الشفاعة ، والمشفع بالكسر الذي تقبل شفاعته وفي النهايةلابن الأثير ، 544. 606هـ الجزء 2ص : 485 نفس التعبير كما نقلها عنه صاحب اللسان ، ابن منظور 630. 711.

- إلا أن ابن الأثير عبر بقوله هكذا : (شفع يشفع شفاعة ، فهو شافع وشفيع ، والمشفع الذي يقبل الشفاعة ، والمشفع الذي تقبل شفاعته.

وفي كتاب (معجم الألفاظ والأعلام القرآنية للأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم ص : 300ع 2 تقول : شفع لفلان أو فيه ، طلب منه العون والغوث ، والشفاعة التوسط بالقول في وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية، والشافع والشفيع من يطلب المعونة للغير ، والجمع شفعاء).

ووردت مشتقات شفع في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة بصيغ مختلفة ، مضارعا ، ومصدرا ، واسم فاعل، وجمعا . جمع تكسير ، ولم ترد بصيغة الماضي والأمر.

وها نحن نأتي بالآيات البينات من كتاب الله تعالى ، حسب ورودها في القرآن الكريم ، مع ذكر بعض المعنى الإجمالي لكل آية ، لتحصل الفائدة إن شاء الله، بدءا بسورة البقرة وانتهاء بسورة المدثر،

1 . الآية الأولى :(ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون) سورة البقرة / الآية 48 المعنى الإجمالي : ولا تقبل شفاعة في نفس كافرة بالله أبدا ، (ولا يؤخذ منها عدل) أي لا يقبل منها فداء،(ولا هم ينصرون) أي ليس من يمنعهم وينجيهم من عذاب الله.

2 . ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون (سورة البقرة/ الآية 123. المعنى الإجمالي أي لا يقبل منها فداء ،(ولا تنفعها شفاعة) أي لا تفيدها شفاعة أحد ، لأنها كفرت بالله(و لاهم ينصرون) أي لا يدفع عنهم أحد عذاب الله ، ولا يجيرهم من سطوة عقابه.

3 . (يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، والكافرون هم الظالمون) سورة البقرة / الآية 154.

المعنى الإجمالي : أيها المؤمنون انفقوا في سبيل الله ، من مال الذي منحكم إياه ، من قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب الذي لا شفيعا يشفع لكم ، إلا أن يأذن الله رب العالمين (والكافرون هم الظالمون) أي لا أحد أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا، والكافر بالله هو الظالم المتعدي، وهو المستحق للعقاب.

4 .(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) سورة البقرة/ بعض الآية 255 . المعنى الإجمالي : أي لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد إلا إذا أذن له الله تعالى، وليس لأحد أن يتجاسر على الشفاعة إلا بإذن المولى سبحانه.

5. 6 . قوله تعالى :(من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا) سورة النساء/ الآية 85.

المعنى الإجمالي : أي من يشفع بين الناس شفاعة موافقة للشرع يكن له نصيب من الأجر ومن يشفع شفاعة مخالفة للشرع يكن له نصيب من الوزر ، وهذه في الدنيا حيث التوسط بين هذا وذاك.

7 . قوله تعالى: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشر وإلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) سورة الانعام: الآية 51. المعنى الإجمالي : أي خوف يا محمد بهذا القرآن المومنين الصادقين بوعد الله ووعيده، والذين يتوقعون عذاب الحشر ، أما الكفرة المعرضون فدعهم ورأيهم، فهم ليس لهم غير الله ولي ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم.

8 . قوله تعالى :(وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) سورة الأنعام بعض الآية:70. المعنى الإجمالي : أي وذكر بالقرآن الناس مخافة أن تسلم نفس للهلاك ، وتراهن بسوء عملها ، وليس لها ناصر ينجيها من العذاب ولا شفيع يشفع لها عند الله.

9 . قوله تعالى: وما نرى معهم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) سورة الأنعام / الآية: 94. المعنى الإجمالي : أي وما نرى معكم آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، والذين اعتقدتم أنهم شركاء لله في استحقاق العبادة ، وهاقد تقطع وصلكم ، وتشتت جمعكم ، وضاع وتلاشى ما زعمتموه من الشفعاء والشركاء.

10 قوله تعالى:« قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » سورة الأعراف الآية: 53.

المعنى الإجمالي : هاهم يعترفون قائلين: جاءت لنا، الرسل بالأخبار الصادقة، وقد تحقق لنا صدقهم ، ولكننا لم نومن ولم نتبعهم، وزادوا قائلين: هل لنا اليوم شفيع يخلصنا من هذا العذاب؟ استفهام فيه معنى التمني، وقالوا ، أيضا ، هل لنا من عودة إلى الدنيا لنعمل صالحا ، وهو غير ما كنا نعمله من المعاصي وقبيح الأعمال.

11 . قوله تعالى:(إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذن ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) سورة يونس الآية: 3.

المعنى الإجمالي : إن ربكم ومالك أمركم ، هو خالق الكائنات في مدة مقدارها ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استوى على العرش، استواءً يليق بجلاله وعظمته ، وهو سبحانه يدبر الأمر الخلائق على تقتضيه الحكمة والمصلحة .

ومالا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا بعد أن يأذن في الشفاعة ، وفي هذا رد على المشركين في زعمهم أن الأصنام تشفع لهم، فالله ربكم ، وحدوه بالعبادة ، ولا تشركوا به شيئا أفلا تتعظون وتعتبرون؟

12 قوله تعالى :(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) سورة يونس / الآية: 18 المعنى الإجمالي: أي ويعبدون الأوثان التي هي جمادات ، لا تقدر على جلب نفع أو دفع ضر ، ويزعمون أن الأصنام تشفع لهم ، مع أنها حجارة لا تبصر ولا تسمع وقل يا محمد لهؤلاء المشركين : أتخبرون الله بشريك أو شفيع كائن في السماوات والأرض لا يعلمه جل جلاله ، وهو سبحانه علام الغيوب ، تنزه وتقدس عما يقول الظالمون.

13 . قوله تعالى :(لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) سورة مريم / الآية: 87. المعنى الإجمالي : أي لا يشفعون في غيرهم ، ولا يشفع لهم ، وقد جاء الاستثناء إلا أنه منقطع ، لكن من تحلى بالإيمان والعمل الصالح ، فإنه يملك الشفاعة ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: العهد المراد به شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

14 . قوله تعالى:« يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من اذن له الرحمن ورضي له قولا) سورة طه/ الآية: 109. المعنى الإجمالي : أي في ذلك اليوم الرهيب ، لا تنفع الشفاعة أحدا ، إلا لمن أذن له الرحمن في أن يشفع له، ورضي لأجله شفاعة الشافع ، وهو الذي كان في الدنيا من أهل لاإله إلا الله قاله ابن عباس.

15 . قوله تعالى:(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لن ارتضى وهم من خشيته مشفوعون) سورة الأنبياء الآية: 28. المعنى الإجمالي : أي علمه تعالى محيط بهم ، لا يخفى عليه منهم خافية ، ولا يشفعون يوم القيامة إلا لمن رضي الله عنه، وهم أهل الإيمان، كما قاله ابن عباس ، وهم من أهل شهادة أن لا إله إلا الله ، وكونهم من خوف الله ورهبته خائفون حذرون ، لأنهم يعرفون عظمة الله، وقال الحسن يرتعدون من خشية الله.

16 . قوله تعالى :(وما أضلنا إلا المجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) سورة الشعراء / الآية: 102 . المعنى الإجمالي : أي وما أضلنا عن الهدي إلا الرؤساء والكبراء ، الذين زينوا لنا الكفر والمعاصي ، وليس لنا من يشفع لنا من هول هذا اليوم ، وليس لنا من صديق خالص الود ، ينقذنا من عذاب الله ، ويا ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنومن بالله ونحسن عملنا ، ونطيع ربنا.

17 . قوله تعالى :(ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) سورة الروم) الآية: 13 المعنى الإجمالي: ويوم القيامة يحشر الناس للحساب ، فيسكتون، وتنقطع حجتهم، ولم يكن لهم من تلك الأصنام التي عبدوها شفعاء يشفعون لهم.

18. قوله تعالى :(مالكم من دونه من ولي ولا شفيع ، أفلا تتذكرون) سورة السجدة/ الآية:4 . المعنى الإجمالي: أي ليس لكم أيها الناس من غير الله ناصر يمنعكم من عذابه ، ولا شفيع يشفع لكم عنده إلا بإذنه، بل هو الذي يتولى مصالحكم ويدبر أموركم ، أفلا تتدبرون هذا فتومنون؟

19 . قوله تعالى :(ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) سورة سبأ /بعض الآية 23 . المعنى الإجمالي : لا تكون الشفاعة لأحد عند الله من ملك أو نبي حتى يؤذن له في الشفاعة فكيف يزعمون أن آلهتهم يشفعون لهم؟ فالشفاعة هي لسيد ولد آدم . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . خاصة إظهارا لمقامه الشريف، فهو أكبر شفيع عند الله.

20 . اتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون، إني إذا لفي ضلال مبين) سورة يس/ الآيتان: 23. 24.

المعنى الإجمالي : استفهام إنكاري، كيف أتخذ من دون الله آلهة، لا تسمع ولا تنفع، ولا تغني عن عابدها شيئا، وهي في المهانة والحقارة ، بحيث لو أراد الله أن ينزل بي شيئا من الضر والأذى، وشفعت لي ، لم تنفع شفاعتهم ، ولم يقدروا على إنقاذي ، فكيف وهي أحجار لا تسمع ولا تبصر ، وفي نفس الوقت لا تنفع ولا تشفع ، وليس لها قدرة على إنقاذ أحد من عذاب الله .

21 .(أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) سورة الزمر / الآي: 43. المعنى الإجمالي :أم هنا للإضراب ، أي لم يتفكروا بل اتخذوا من الأوثان والأصنام ،ذلكم لفرط جهالتهم حيث اتخذوها لهم شفعاء من دون الله بلا دليل ولا برهان، وليس لها عقل، بل هي جمادات ، وهي أسوأ حالا بكثير من الحيوانات.

حلقات من سيرة حياة لهالبا
بين قرية الصخرة والقرويين

■ الأستاذ: الطاهر العروسي

الحلقة الرابعة

.... والواقع انني كنت اتاثر لسلوك بعضهم . فهم يخجلون لمنظر فتاة تعود من العين، وهي تحمل جرة الماء بينما هي ورفيقاتها يجدن الشجاعة الكافية للسخرية المحببة منهم والتعجب من سلوكهم .. ومن بين هؤلاء الطلبة رفيقي الحسين الغماري كان جميلا،عيناه واسعتان لهما لون خمري وبشرة وجهه صافية بيضاء زانتها لحية حالكة السواد. لقد سمعت عنه قصصا عجيبة ، ويتحدثون في القرية أن إحدى بنات الشيخ (الزوالي) شغفت به وأحبته واغتنمت ذات ليلة فرصة انشغال السكان بحفلة (عرس) فخم ، فاقتحمت فناء المدرسة بحذر واحتراس، وطرقت حجرة الطالب .. حتى إذا فتح الباب لقي نفسه وجها لوجه أمام فتنة طاغية ، وسارع إلى إغلاق الباب حتى لا يراه أحد .. ترى ماذا كان شعوره تجاه الفتاة وهي تضطرب كعصفور حائر أمامه؟ إن قوتين هائلتين تتصارعان في أعماقه.. كيف يتصرف أمام فتاة وجدت الجراة للدنو منه متخفية تحت ستار الليل البهيم ، وأن صوتا آخر يلح عليه: لا .. لا .. وفي غمرة هذا الصراع الذي تأججت ناره بين حناياه تناول شمعة مشتعلة وجعل يحرق أصابعه بالنار . حتى إذا رأت الفتاة مسلكه العجيب إزاءها ، أسرعت إلى الابتعاد عنه، وقد أدركت مشاعره على حقيقتها.

سمعت هذه القصة . ولا أدري هل ما إذا كانت واقعية ام لا .. وإن كنت خلال تأملاتي وملاحظاتي لمسلك الطالب مقتنعا من صدق ما حدث للطالب مع بنت الشيخ (الزوالي).

هذه الأشياء التي كنت المسها حينا او اسمعها أحيانا فابتهج بها ، كانت تخفف علي نوعا من الملل.. وأن الرقابة التي يفرضها علينا عادة نظام الحياة تجعلنا ننظر باستخفاف إلى كل ما يجري حولنا وخلفنا، فيومنا وامسنا يتشابهان في كون كل منهما لا يختلف عن الآخر ، ولولا بعض الحالات أو الأحداث التي تعترض حياة هذا أو ذاك لخلت أن الأمس واليوم شيء واحد.

وقد عشت هذه الظاهرة بالفعل وأنا في قرية (الصخرة) حيث ألقى نفسي تارة قابعا داخل حجرة صغيرة تشرف كوتها على أشجار الغابة أو أجلس وسط حلقة مستديرة في الجامع بين زملائي ، بينما الشيخ يردد بصوت مبحوح أبياتا من (ألفية بن مالك).

لم يكن هناك جديد في طريقة الدروس التي كنت أتتبعها باهتمام ، فالفقيه يجلس متكئا على حائط المسجد .. ثم يشرع في إملاء درسه وعندما أخلو بمسكني كنت أحاول استذكار ما قرأته بصعوبة وعسر.. والكتاب وحده كان منجدي الأخير عند ما يستعصي علي مشكل لغوي أو فقهي ، وبذلك كنت أخلص ذهني وعقلي من البلبلة والتشويش..

وما كنت أخفي تضايقي وتأففي من الطريقة التقليدية التي كان يلقي بها الشيخ دروسه، وجعلت اقتنع يوما بعد آخر من أننا نضيع شطرا كبيرا من عمرنا وجزءا مهما من حياتنا في الاستماع إلى خلافات البصريين والكوفيين وصراع سيبويه والكسائي حول لسعتي العقرب والزنبور وأقوال الفقهاء التي لا تنتهي حول الكراهية والتحريم.

كان عزائي الوحيد هو تلك اللحظات التي كنت اقتطعها من وقتي كطالب مقيد بحصص معينة من المواد والدروس فأهرب إلى الخلاء .. وأنزل إلى الوادي .. وهناك أملأ رئتي بالهواء النقي، وأستمع إلى تغريدة (أم الحسن) وهي تؤديها كسيمفونيات حنينة الوقع على الروح والنفس معا.. بينما الماء يجري عذبا صافيا بين الصخور، وأحس بحياة جديدة تدب في كياني، وتهزني بصنف فأتنفس النسيم العليل بعمق ، فتتصاعد إلى خياشمي روائح النباتات البرية.

كنت شابا لم يتجاوز سبعة عشر ربيعا .. كنت أشعر باعصار في أعماقي ، وان الحبات الصغيرة الحمراء التي كان يطفح بها جبيني ووجهي .. والحالة العصبية التي تسيطر على حركاتي في أكثر الأحيان .. كل هذه أعراض سمعت أنها خاصة بالمراهقين من الشباب ، وقد أكد لي ذلك زميلي الطالب (السي أحمد) وينصحني بألا اعتزل الناس ومجالس السمر في القرية ، ويحثني بل ويلح علي أن أغامر وأشارك في سهرات تمتد إلى منتصف الليل على نغمات الناي وإيقاع (البندير) ولست أنسى (مغامرتي) الأولى عندما قفزت من فوق سياج القصب الذي يحيط ببيت الأرملة (ارحيمو القصرية) مقتفيا في ذلك خطوات (السي أحمد) وكان الظلام دامسا ، وطائر اللقلاق يبدو منتصبا فوق سقف البيت وهو يعابث أنثاه بمنقاره العجيب في زهو وخيلاء.. بينما كانت الدجاجات والديوك تتناجى في وشوشة أشبه بزقزقة العصافير وقد تشبثت بأغصان شجرة التين الضخمة، ولم يكن الكلب في الفناء .. وإلا كان من الصعب أن نقوم بهذه المغامرة ، وطرقنا الباب الخشبية في حذر واحتراس شديدين .. وما أن فتح حتى بدت الدهشة على وجه المرأة.

وكادت تصرخ لولا أن زميلي سارع إلى إغلاق فمها بكف يده ودفع بها بعيدا إلى الداخل.

كانت فرائصي ترتعد وأنفاسي تتلاحق والكلمات المبحوحة تندفع من حنجرتي ، فتتلاشى سريعا ، ودنوت أنا الآخر من المرأة .. وجعلت أتحسس وجهها الذي اهتديت إليه بواسطة أنفاسها التي بعثت في نفسي قرفا مثيرا ، وشعرت بأعصابي تنهار تماما وأنا ألثم وجها ذميما لامرأة في سن الأربعين.

والحقيقة أنني لم أكن أدرك السر الكامن في اتصالات الرجل بالمرأة . ذلك لأن هذه أشياء سمعتها منذ الصغر... دون أن أهتم بها كثيرا .. وحتى عندما شاهدت لأول مرة بسينما (نا سيونال) بالعرائش صورة بطل الفيلم وهو يقبل فتاة حسناء ، أدركت أن المنظر طبيعي يشاهده الناس على الشاشة. وأعتقد أن نظام حياتي وسط عائلة متحفظة وكذا قساوة التربية التي فرضها والدي على الأسرة ، كل ذلك قد جعل مني شابا خجولا ينشد العزلة والانزواء.

إني أذكر حفلة عرس الجيران التي أقيمت في منزلنا.. وكان مساء جميلا زادته أنوار المصابيح الكهربائية بهاء وروعة. وأقبل المدعوون الذين كان أكثرهم يلبسون الجلابات البيضاء من نوع (البزيوي) الفاسي أو من نوع (المحبب) الشفشاوني .. كنت أجلس على كرسي في مدخل الدار، وكان والدي ورجال آخرون يستقبلون الناس بالترحاب والسلام ، كانت الموسيقى الأندلسية تنساب في رقة بين جنبات البيت .. كنت أتأمل ملامح العريس وقد أشرق وجهه وتألقت أساريره وتساءلت آنئذ: لماذا يبدو ضاحكا وسعيدا أكثر من الآخرين..؟ أهناك شكل جديد من الحياة سيقبل عليه العريس في مستقبل أيامه .

كانت الفتيات والنساء يشرفن من فوق سطح المنزل ، كن يتفرجن على الرجال ، وسمعت ضحكاتهن الخافتة ، وشاهدت فتيات يتغامزن ، ويشرن بأصابعهن الرقيقة بحذر إلى هذا أو ذاك من الشبان المدعوين.. ولفتت نظري خاصة بنت خالتي كنزة بثوبها الوردي وشعر رأسها المقصوص على الطريقة الاسبانية الحديثة.

كانت تنتقل كصبية مرحة.. كنت أتأملها في صمت ، وأحس في الوقت بلسعات من نار تلفح وجهي . كانت نظراتنا تلتقي بنظراتي بين حين وآخر فاسعر بالخجل ، وان كنت أجد سعادتي في أن كنزة قريبة مني.

لقد سمعت كثيرا عن الحب بيد أنني لم أكن أترجمه إلا عن طريق الاحساس الخاص بيني وبين أبوي ، ولا أدري لماذا كان والدي يملأ نفسي حبا وحنانا ، إنه الانسان الذي لم أكن أراه إلا في لحظات قصيرة جدا في النهار وفي الليل..

ذلك أنه كان يقضي اليوم كله في حانوته الصغير بالسوق الكبير، كان يعود إلينا بعد صلاة المغرب، فأشاهد أمي تستقبله وتبتهج لمقدمه .. ثم تتناول منه (القفة) فتذهب إلى المطبخ وهناك تفرغ ما فيها من سمك وخضر وخبز.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

كيف نمحو الصورة المشوهة عن الاسلام؟

يمر عالمنا الإسلامي اليوم بمرحلة حرجة في تاريخه تتعاظم فيها التحديات من حوله في شتى مناحي الحياة، وإن أخطر ما يعانيه حاليا الحملة الشرسة على الإسلام في الغرب والتي تبرز ملامحها في الكتابات الأدبية والعلمية ، ولغة التخاطب ، ولغة الإعلام تصف الاسلام بالتعصب والعنف والجمود وتصف مجتمعات المسلمين بالتخلف والهمجية بل ذهب بهم المكر إلى تزوير آيات القرأن وسموا فعلتهم الدنيئة بما أسموه" الفرقان الحق" وملؤوه بالأكاذيب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

إن الصورة المشوهة عن الاسلام جعلت الغربيين يتهمون الاسلام والمسلمين بالعنف والتطرف ومعاداة حضارة الغرب التي يعتبرونها وحدها رمز التقدم والتنمية . وحتى يتم محو هذه الصورة على المسلمين واجب إقناع رجل الشارع الغربي بأن الإسلام هو دين السلام والتقدم ، وأن التنوع العقائدي ، والثقافي والفكري والسياسي واللغوي والحضاري سنة من سنن الله يجب احترامها والتعامل معها بما يؤدي إلى صالح الانسان في كل زمان ومكان ومن واجب المسلمين إقناع الغرب أيضا بأن الاسلام يحرم الاعتداء وترويع الآمنين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين كما يحرم الاكراه حتى ولو كان في أمور العقيدة ويحرم حرية الانسان وكرامته ويحمي جميع حقوقه.

إن ظاهرة صنع الصورة المسيئة للإسلام وترسيخها في العقل الغربي ظاهرة قديمة جديدة ، والاسلام كان ولا يزال أكثر الأديان تعرضا للإساءة كما أن الشعوب الإسلامية أكثر الشعوب حظا من التشويه والتجريح .

إذن، ما هي الدوافع التي نشأت عنها هذه الكراهية؟ من الدوافع جهل الغرب لجوهر الإسلام ، واهتمامه بالقشور وإعراضه عن الجانب الجميل فيه وعدم التأمل الهادف العميق لرسالته الخالدة، فعلينا بضرورة اعتماد خطاب إسلامي جديد نقدم به الإسلام للغرب على ثوابت مدروسة تلتزم بأصول الدين وضوابطه نقدمه على أنه دين هداية للبشرية وصلاح للناس كل الناس ، وانه دين حضارة وغطاء فضلا عن كونه رسالة تسامح وتعايش بين الناس بالحسنى مهما اختلفت أعرافهم وبيئاتهم ، كما أنه منهج حياة يرسم للبشرية طريقها إلى سواء السبيل.

من المطلوب في هذا المجال إقامة مؤتمرات مشتركة للحوار الجاد مع الغرب في إطار الدراسات الثقافية العامة، ومن خلال توفير شبكة معلومات إسلامية وإقامة معارض ومهرجانات تجسد معالم الحضارة الإسلامية ، وذلك لعرض وجهات النظر الإسلامية في العديد من القضايا والمشكلات التي تواجه العالم اليوم.

إن الإسلام رسالة سلام لكل البشر ، ومنهج إصلاح لكل الناس ، رسالة تتميز بالربط بين الدين والحياة بعيدا عن الانغلاق والانكفاء على الذات.

قضايا تربوية من خلال بعض النوازل في "المعيار" للونشريسي

■ إعداد الدكتور محمد منصيف العسري

الحلقة الأولى

■ النوازل هي تلك الوقائع والأحداث التي تقع للناس في حياتهم وتتطلب من العلماء الإفتاء فيها بما يتوافق مع أحكام الشرع ، وقد اهتم العديد من العلماء بتدوينها والتأليف فيها فيما يعرف بكتب النوازل.

وإذا كان الإفتاء في النوازل قد ظهر وتبلور منذ صدر الإسلام ، فإن النوازل لم تكن منفصلة عن الفقه في ذلك العصر بل إنهما كانا متلازمين ، ولم تبرز النوازل كفرع مستقل وقسم خاص من الدراسة الفقهية إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري ، حيث تم التوسع كثيرا في التدوين الفقهي الذي غلب فيه طابع الاجتهاد المذهبي إلى نهاية القرن السابع الهجري، ثم تحول الفقه والإفتاء في النوازل إلى تعصب وتقليد وتمسك بما تم تدوينه في بعض المؤلفات الفقهية من فروع ، ولذلك وسم ذلك العهد بعصر الانحطاط ، على أنه عرف استثناءات حيث برع فيه بعض العلماء الذين كانت لهم إبداعات في المجالات التي تخصصوا فيها، ومن أولئك العلماء عباس أحمد الونشريسي المتوفى سنة 914هـ صاحب المؤلفات المفيدة ، ومنها كتابة " المعيار" الذي يعتبر موسوعة في مجال النوازل ، حيث جمع فيه فتاوى المتقدمين والمتأخرين فكان لأهميته الكبرى من أبرز المراجع المعتمدة عند المفتين.

ولعل أهم ما يلاحظ من النظر في " المعيار " هو خصوبة اجتهادات الفقهاء الذين أجابوا بالفتاوى المناسبة لما عرض عليهم من نوازل ووقائع ، فجاءت فتاويهم شاملة ومستوعبة لتفاصيل القضايا المطروحة في عصرهم، حيث تناولت النوازل الواردة في هذا لكتاب عدة مسائل حدثت في الغرب الإسلامي على امتداد عدة قرون ، مبرزة وحدة المذهب المالكي من خلال مجموعة من الاجتهادات الفقهية المتجددة لعلمائه، من تلاميذ الإمام مالك إلى شيوخ الونشريسي وأقرانه ، وفي هؤلاء كثير ممن وصف بالاجتهاد لاستنباط الأحكام المستجيبة لمتطلبات النوازل والأحداث الواقعة.

ومما ذكرنا يمكن إدراك ما للمعيار من أهمية في المجالات الفقهية والاجتماعية والتاريخية وغيرها ، ومن جانبنا سنعمل . من خلال بعض النوازل الواردة في هذا الكتاب . على استجلاء جوانب من مجال هام قلما يلتفت إليه فيه وهو المجال التربوي بما يحمل في طيه من دلالات وأحكام. وذلك من خلال مبحثين أساسيين: أحدهما يتعلق ببعض القضايا التربوية المرتبطة بالكتاتيب القرآنية ، والثاني يخص قضايا تربوية أخرى تتعلق بالمدارس.

1. التربية بالكتاتيب من خلال المعيار:

1 . 1 . الوضعية التربوية للكتاتيب:

إن وجود المدارس وانتشارها لم يلغ ضرورة وجود الكتاتيب القرآنية ، ذلك أن هذه الأخيرة تعتبر مؤسسات تعليمية قائمة بذاتها إلى جانب المدارس ، حيث أن لكل منهما دوره في المسيرة التعليمية ، فللكتاب دورا لا تستطيع المدرسة تبنيه ، لأنه يمثل المؤسسة التعليمية الأولية الضرورية، التي تزود المدرسة بأفراد لهم من الاستعداد والتأهيل ما يجعلهم قادرين على متابعة تعليمهم بها، ابتغاء تحقيق القدرات المستهدفة من التربية والتعليم.

ويتبين لنا جانب من الوضعية التربوية للكتاتيب من خلال ما ورد في المعيار عن علاقتها بالمساجد مما يظهر ضرورة الفصل بينهما ، فقد جاء في المعيار تحت عنوان " تعليم الصبيان في المساجد لا يجوز" : وسئل الفقيه أبو عبد الله محمد بن سحنون بن أيوب المزجلدي عن مساجدبلدة اتخذها قوم يعلمون فيها الصبيان، وبعض هذه المساجد تتعذر الصلاة فيها لكثرة من بها من الصبيان... ومن الناس من يقف عن الصلاة لما يتقي أن يصيب البساط من النجاسات، فهل ترى لهؤلاء المعلمين سعة في تعليمهم في المساجد؟ فجاء جواب الفقيه حاسما في هذه المسألة حيث قال : لم يجعل الله المساجد ليتكسب فيها الأرزاق، والواجب على أهل تلك البلدة أن يمنعوا مساجدهم من مثل هذا ، وليوعظ المعلمون وآباء الصبيان ليخرجوا من المساجد إلى بقاع يصلح فيها التكسب ، ولا يضروا بالمسلمين، فإن أبى المعلم فلينزع الصبيان من عنده آباؤهم (المعيار ج 7 ص 36) .

فمن هذه النازلة وما أفتى به فيها الفقيه المذكور تبين لنا أن بعض الناس جعلوا من المساجد كتاتيب لتعليم الصبيان وأن ذلك كان يحدث أضرارا بالمصلين، ومن هنا جاءت هذه الفتوى التي تبين دور كل من الكتاب والمسجد، مما يؤكد أن فقهاء المالكية بالغرب الإسلامي قد تبينوا آنذاك إلى تحديد دور كل من الكتاتيب والمساجد ، فإذا كان دور الكتاب ينحصر في تلقين أبناء المسلمين مبادئ دينهم من القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإن المسجد الجامع يكمل هذا الدور ويفتح أبوابه في وجه حفظة القرآن من المتخرجين من الكتاتيب ، الذين تلقوا ما يكفي من العلوم والمعارف التي تؤهل الطالبين منهم للمزيد من العلم والدراسة لمتابعة دراستهم وتوسيع مداركهم، ويترتب على هذا أن لكل مؤسسة مكانتها ودورها ، فالكتاب لتعليم الصبيان والمسجد لتدريس الراشدين من طلبة العلم.

2 . 1 . موقف الفقهاء من تعليم الأولاد:

في هذا الإطار يحدثنا الونشريسي عن نموذج للمشاكل المادية التي كانت تعترض بعض الآباء في تعليم أولادهم ، حيث سئل أحد الفقهاء عمن له أولاد صغار وكبار وهو فقير ، فأراد إدخال الصغار للكتاب ويترك الكبار يقومون عليه، هل له سعة أم لا؟ فأجاب بأن له ذلك وليس بواجب عليه أن يعلمهم ، وخير له أن يعلمهم (المعيار ج 8 ص 239).

ولأجل توضيح الموقف الفقهي من هذه النازلة ومثيلاتها نورد جوابا آخر لنازلة مماثلة ، حيث سئل القابسي هل على الرجل أن يجعل ابنه في الكتاب ويجبره القاضي ، والذكر والأنثى سواء؟ فأجاب بأن قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (أخرجه البخاري في فضائل القرآن) يشمل الوالد بتعليمه ولده إياه ولو بأجرة تعليمه العلم ، وإن ترك الأب تعليم ولده القرآن لشح قبح فعله ، وإن كان لقلة ما بيده عذر، وإن كان للولد مال فلا يدعه دون تعليم وليه أو قاضي بلده (المعيار ج 8 ص 249. 250).

فمما أورد الونشريسي عن هاتين النازلتين يتبين لنا أن الفقهاء بالغرب الإسلامي حملوا مسؤولية توعية الناس بضرورة تعليم الأولاد مستندين في ذلك إلى النصوص الشرعية، إلا أنه عندما تعترض الأسرة مشاكل ما دية تتمثل في عجز الأب عن دفع أجرة المعلم وباقي متطلبات تعليم أولاده، فإن الفقهاء يوازنون بين جلب المصلحة المتمثلة في تعليم كل الأولاد كبارا وصغارا، ودفع المفسدة المتمثلة فيما ينتج عن ذلك من ضيق وإعنات الأب الذي يعاني من الفقر والحاجة، فلا يكلفونه من ذلك إلا ما يطيق، عملا بالنصوص الشرعية التي تنفي الحرج عن المكلفين ، كقوله تعالى :" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" سورة البقرة الآية 286) وقوله سبحانه: " لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها " سورة الطلاق الآية7.

المدارس الاستشراقية وطبقات المستشرقين

■ إعداد الأستاذ: محمد خمدو

■ عرف العلماء الاستشراق بأنه علوم الشرق، والاهتمام بحضارته بما في ذلك قراءة الدين الإسلامي ، وتعلم وفهم اللغة العربية وعلوم الشريعة.

وقد تباينت آراء الباحثين حول بداية الاستشراق فمنهم من يرى أنه قديم ويرجع إلى عهد اليونان حيث قام " هيرودوت" برحلات إلى مصر وإلى بعض البلدان العربية باحثا في علومها ، ويرى آخرون أنه بدأ مع الحروب الصليبية وبالضبط في الكنيسة الكاثوليكية ، بينما ذهب آخرون إلى أن الاستشراق بدأ مع حملة نابليون بونابرت على مصر.

وقد مر الاستشراق بأربعة أطوار قبل أن يصبح على ماهو عليه الآن ، وهذه الأطوار هي:

1. مرحلة الإعجاب بالحضارة العربية الإسلامية خاصة الجانب الفكري والعلمي والثقافي.
2. مرحلة الاستفادة من فكر هذه الحضارة.
3. مرحلة التشكيك والخوف.
4. مرحلة الحقد والتشويه.

وهذا لا يعني أن الاستشراق واحد من حيث دوافعه وأهدافه فهناك مستشرقون أنصفوا الإسلام، ودافعوا عن حضارته وهم قلة قليلة . لكن غالبيتهم اتجهوا نحو تشويه هذه الحضارة.

وقد قسم الباحثون الاستشراق إلى مدارس ، كل مدرسة لها مميزاتها وأعلامها ، كما صنفوا المستشرقين إلى طبقات.

ومن المدارس الاستشراقية المدرسة الإيطالية، المدرسة الهولندية ، المدرسة الفرنسية ، المدرسة الانجليزية ، المدرسة الأمريكية ، المدرسة الألمانية ثم المدرسة الاسبانية.

1 . المدرسة الإيطالية:

وإنما تم تقديم هذه المدرسة باعتبار إيطاليا مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حيث انطلقت البادرة من الباباوات ، فصدر القرار البابوي بإنشاء مجالس علمية تعنى بتدريس اللغة العربية في " باريس " و" نابولي" وغيرهما واستمر هذا الاهتمام حتى أدى إلى ترجمة العديد من كتب اللاهوت إلى العربية . وقد ظهر في العالم الإسلامي مستشرقون إيطاليون برزوا في مختلف المجالات العلمية والثقافية، وأسهموا في العطاء الفكري بجانب العرب والمسلمين.

وفيما يأتي بعض أعلام المدرسة الإيطالية .

1 . المستشرق" دفيد سانتيلانا" DAVID SANTILLANA (1855. 1931) ولد في تونس ودرس القانون والفقه الإسلامي والفلسفة وحصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة " روما" ، وتولى مهمة التدريس في إحدى الجامعات المصرية(مادة : تاريخ الفلسفة) . وعمل أيضا أستاذا للقانون الإسلامي ، وقد أهله ذلك للإسهام في وضع القانونين المدني والتجاري اعتمادا على الشريعة الإسلامية.

2 . المستشرق " ليوني كايتاني" CAETANI LEONE (1869.1926) وهو من أبرز أعلام هذه المدرسة فقد تميز بأنه كان يتقن عدة لغات كالعربية والفارسية ، تولى منصب سفير لبلاده في الولايات المتحدة . زار عدة بلدان كالهند وإيران ومصر ولبنان وسوريا ،من مؤلفاته كتاب" حوليات الاسلام" . وهو أبرز مرجع علمي يعتمده المستشرقون في دراستهم وأبحاثهم.

3 . المستشرق " الفوصو نايينو" ALFOSO- NALLINO" (1872 . 1938) ولد في " تورينو" وتعلم اللغة العربية ، عمل مدرسا لهذه اللغة في المعهد العلمي الشرقي بنابولي ، ثم أستاذا بجامعة روما ، وعمل أيضا مدرسا للتاريخ والدراسات الإسلامية بنفس الجامعة ، له عدة محاضرات في علم الفلك بالجامعة المصرية ، وحاضر أيضا في الأدب العربي .

وسنرى في حلقات قادمة . إن شاء الله . بعض المدارس الاستشراقية الأخرى ، وبعض روادها وأعلامها.

نوقشت بكلية الآداب بالرباط أطروحة دكتوراه الدولة للباحث عبد الفتاح الفريسي في موضوع:

الإمام المهدوي ومنهجه في علم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية

الحلقة الثانية

... في المدخل العام تحدثت ، كما تقتضي المناسبة ، عن علم القراءات ، نشأته وتاريخه ، وضوابط القراءة الصحيحة.

كما تطرقت إلى صلة القراءات باللغة العربية والنحو ، وأثر كل منهما في الآخر ، وعلاقة ذلك كله بعلم توجيه والاحتجاج للقراءة القرآنية.

وكان من نتائج ذلك المدخل العام توضيح الجهود التي بذلها علماء المسلمين في المحافظة على القرآن الكريم على اختلاف تخصصاتهم العلمية .

وبخصوص الباب الأول : الذي جاء في فصول ثلاثة فقد خصصته للحديث عن علم التوجه والاحتجاج، تعريفه ونشأته، وأهم أسباب التأليف فيه ، ومسيرته وأشهر المؤلفات المتعلقة به حتى عصر المهدوي ، كما تحدثت عن مقومات المدرسة القيروانية في الغرب الإسلامي وامتداداتها في المشرق والمغرب ورودها المبرزين موضحا أن علم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية ظل منثورا في كتب علم التفسير مدة من الزمن ، إلى أن بدأ في طور الاستقلال والانفصال حتى وصل إلى مرحلة من النضج والازدهار ، كما تعرضت إلى المدرسة القيروانية في علم التوجيه والاحتجاج ، مبينا أهم مقوماتها العلمية وامتداداتها في الأندلس.

هذا بالنسبة للباب الأول فيه.

أما الباب الثاني فقد تحدثت في فصلين عن الحالة السياسية والاجتماعية للمهدوي ، وجليت البيئة العامة التي نشأ في ظلها، ثم انتقلت إلى الحديث عن حياة المهدوي حديثا مختصرا استفتيت فيه النصوص على قلتها ، ثم وقفت على مكانته وإمامته العلمية ، واستخلصت من كتب الرجل ومصادره سعة الاطلاع عنده وحرصه على العلم وتميزه العالي.

ومضيت بالبحث إلى شيوخ الإمام المهدوي فتحدثت عنهم ، وبينت مدى تأثره بهم، أما تلاميذه فقد تتبعتهم في كتب التراجم ، ورتبت الحديث عنهم على حسب وفياتهم.

كما تناولت كذلك مذهب الرجل في العقيدة ودللت على أشعريته ، وتناولت بعد ذلك مذهبه الفقهي فتوصلت إلى أنه كان مالكيا.

وقد خصصت الباب الثالث للحديث عن منهج المهدوي في علم التوجيه والاحتجاج واختياراته العلمية، متعرضا لأهم كتبه التي تمثل أصول مدرسته ، متتبعا معالم منهجه ومقومات اختياراته في التوجيه والاحتجاج وختمت الباب بذكر بعض الملاحظات على مذهبيته في التوجيه والاحتجاج.

أما الباب الرابع فقد خصصته للدراسة المقارنة بين منهج المهدوي في علم التوجيه والاحتجاج ومنهج إمامين من كبار أئمة علماء التوجيه والاحتجاج هما :

أولا : الإمام مكي بن أبي طالب القيسي الذي عرفت به وبمكانته العلمية وإمامته في علم التوجيه والاحتجاج للقراءات ، كما تحدث عن كتابه (الكشف) ومنهجه فيه، وذليت ذلك بمقارنة بينه وبين المهدوي.

ثانيا الإمام أبو عمرو الداني الذي تحدثت في مبحث أولي عن حياته ومشاركته في علوم متعددة منها التوجيه والاحتجاج ، كما عرفت بكتابه (الموضح) ومنهجه فيه ، وتطرقت بعد ذلك لموقف الداني من المهدوي وأسباب التوتر الذي كان يطبع العلاقة بين الرجلين، ورأيت من الواجب أن أقوم بدراسة تحليليةلنص رسالة (التنبيه على الخطإ والجهل والتمويه) التي ألفها الإمام الداني في الرد على أسلوب المهدوي ومنهجه في توجيه القراءات والاحتجاج لها، حاولت أن أسجل بعض الملاحظات النقدية ، ورجحت في بيان أسباب تأليفها أن يكون عنصر حظ النفس والانتصار لها ، وحب الزعامة قد طبع إلى حد كبير أسلوب رسالة الداني ومنهجه فيها مما أخرجها في رأيي عن أصول البحث العلمي الرصين.

وفي الخاتمة قمت بتلخيص النتائج الكبرى التي توصلت إليها، وأهم المسائل العلمية التي حققتها في مختلف الأبواب المتعددة في البحث ، وذيلت ذلك كله ببعض الاقتراحات التي أراها مناسبة لخدمة العلمي ومسيرة الدراسات القرآنية.

أما مصادر البحث فقد كانت قليلة إلى حد الندرة ، مفرقة في مكتبات مختلفة في الداخل والخارج ، وتطلب من الأمر أحيانا أن أفارق الوطن والأهل من أجل الوقوف عليها في تونس ، مسقط رأس المهدوي ، ومصر والسعودية وتركيا وإسبانيا ، أردت أن لا تفوتني قضية ولا مسألة دون أن أعرج عليها ، وهنا أتذكر بكل إكبار جميع من أعانني من الأساتذة والباحثين والمشرفين على المكتبات العامة والخاصة، الذين لولاهم ، بعد الله تعالى ، ما كان لي أن أصل إلى انجاز ما أنجزته ،فاتصلت اتصالا كاملا بالمهدوي وفكره ، وصحبته ، بداية من مكان مولده ونشأته بالمهدية بتونس ، إلى غاية مكان تألقه بالأندلس، ورافقته ليالي وأياما طوالا ، حاولت سبر غوْره، وتجلية قدره، والتعرف على أثره ، وأحسست في سبيل ذلك بالعناء، رغم قلة الوقت ، وكثرة الالتزامات والأشغال ، وما أعذب العناء إذا كان صاحبه منقبا عن حقيقة ضائعة ، وباحثا عن شبه مجهول، ومنقبا عن غامض، وراجيا الإضافة والنوع ، لا التكرار والكم.

وأما عن المراجع فكانت متصلة بالموضوع ، من قريب أو بعيد ، من كتب القراءات والنحو وفروعهما، وكتب القراءات والدراسات الحديثة ، وما ألفه الباحثون والمستشرقون.

هذا ويمكن إجمال أهم ما توصل إليه البحث في مجموعة من الخلاصات والنتائج العلمية وهي كما يلي:

1 . أن علم التوجيه والاحتجاج من أهم العلوم الإسلامية التي لاغنى لمفسر أو قارئ عنها.

2. أن أسباب التأليف في علم التوجيه والاحتجاج لا يمكن اختزاله فقط في الدفاع عن القرآن الكريم ومختلف قراءاته ، وإنما هناك أسباب موضوعية وتاريخية وراء ظهوره ، كتوضيح ضوابط القراءات الصحيحة الثلاثة، ومسايرة النهضة النحوية واللغوية وما تلاها من تدافع علمي بين النحاة والقراء.

3. أن مسيرة علم التوجيه والاحتجاج لم تسلم من أثر النزاعات الذهبية والتعصب الفكري قبل أن تستوي على سوقها وتستقل بأسلوب سليم ومنهج ناضج تجسد في كتابات بعض المتأخرين من علماء التوجيه والاحتجاج .

4. أن الاختيار بين أوجه القراءات المروية لا محظور فيه بشرط أن يخضع لشروط وضوابط الرواية والنقل.

5. أن الإمام المهدوي من أعظم رجالات علم الاحتجاج والتوجيه للقراءات ومنزلته لا تقل عن منزلة كبار علماء هذا الفن، ولو أن الأقدار ساعدت والزمان تيسر لكان المهدوي أعظم صيتا وأجل قدرا ، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

6. أن المدرسة القرآنية بالغرب الإسلامي مدرسة غنية بالعطاء ، زاخرة فيحاء، لا زالت تحتاج إلى مزيد من البحث والتحرير والتحقيق، ولا أدل على ذلك من تلك العشرات بل المئات من المخطوطات التي تحتاج إلى من يخرجها من الظلمات إلى النور.

7. أن المدرسة القيروانية التي ينتمي إليها الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي قد نمت وترعرعت ومرت بمراحل مختلفة إلى أن اكتمل عودها واستقلت شخصياتها واستطاعت أن تجد لنفسها مكانا محترما في عالم علم التوجيه والاختيار، فصارت مدرسة مستقلة لها طابعها وأسسها الأدائية.

8. أن علم القراءات القرآنية معين لغوي لا ينضب ، ومثال لكيفية النطق العربي الفصيح ، بما أثارته من القضايا التي أخصبت العلوم الإسلامية والعربية.

9. أن بين القراءات القرآنية وعلوم العربية ترابطا محكما وصلة وثقى، فهما معا وجدا لخدمة النص القرآني وحفظه ، ولعظم موقعهما من الدين فإن الحاجة إليهما ستظل ماسة، فالفقيه وإن برز في فقهه، والمفسر وإن كان من غيره أعلم ، لا يتصدى أحد منهما لسلوك طريق الرواية ، ولا يغوص على شيء من الدراية مالم يكن ذا قدم راسخة فيهما معا.

10. أن معظم المصادر اللغوية وردت إلينا مكتوبة فلم تسلم من التصحيف والتحريف ، إلا القراءات وطرق التلاوة للنص القرآني فإنها جاءتنا منطوقة، نقلها أئمة ثقاة بواسطة التلقي الدقيق والمشافهة المضبوطة ، ولذلك كان التعويل على القراء في كيفية أداء كلمات القرآن واختلافها ، لأنهم أصحاب ممارسة وتطبيق.

11 . أن استحكام الخلاف بين أكبر مدرستين نحويتين ، مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة في المسائل النحوية واللغوية، كان أحد الدوافع التي ساعدت النحاة على الاشتغال بالقراءات القرآنية عامة وبتوجيهها والاحتجاج لها على وجه الخصوص، فالبصريون حددوا لأنفسهم قواعد عامة حكموها بالمنطق ، فعدوا كل ما خالفها شاذا يحفظ ولا يقاس عليه، فحجروا اللغة، وردوا وجوها من القراءات صحيحة . كما غلطوا مذاهب القراء واتهموها بالوهم تارة وباللحن تارة أخرى، أما الكوفيون فإنهم كانوا أرحب تفكيرا إذ هم أهل أثر ، كثر فيهم الفقهاء والمحدثون والقراء، فكل ما ثبت وروده عن العرب صحيح لديهم لايرد ، وكل ما ثبت من وجوه القراءات مقبول لا يهدر ، ويكفيهم شرفا أن ثلاثة من القراء السبعة المشهورين ينتمون إليهم ، وهم : عاصم وحمزة والكسائي ، حيث اشتغلوا بعلوم العربية وبرزوا فيها.

12 . أن اختيارات الأئمة اجتهاد في إضافة القراءة إلى من قرأ بها من القراء ، وليس اجتهادا في وضعها ، لأن القراءة عندهم سنة يلزم قبولها والمصير إليها، وهي لا تعمل في شيء من القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في الرواية.

ذلكم هو الإمام المهدوي نادرة الزمان وأعجوبة الدهر في القرنين الرابع والخامس ، وتلك هي مواهبه الفطرية ومقدرته الفكرية وقوة عارضته وسعة مداركه وشدة فهمه وحصافة رأيه، وهذا هو مبلغ حضوره وإحاطته بزمانه، وأحوال عصره ، وإلمامه بمختلف العلوم درسا وتحصيلا وتدريسا وتأليفا حتى بلغ رتبة المقرئ المنتهي، ووصل إلى ذروة سنام الإمامة في التفسير والقراءات والتوجيه والاحتجاج واللغة وغير ذلك من العلوم، وتلك شهادة جمهرة العلماء من أئمة العلم والحديث والتاريخ.

وإلى هنا انتهى ما قصدنا بهذه البحث ، وحسبنا أن نقول إن منهج الإمام المهدوي يعد مدرسة متفردة وذخيرة علمية رائدة ، جزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين ، وأسكنه فسيح جناته بفضله وكرمه وامتنانه.

وإذا كان لي من حاجة عند السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة ، فإني أرغب إليهم أن يدفعوا بعملي هذا إلى المستوى الذي يحظى منهم بالرضى والاستحسان ، فإن عملا لا يمكن أن يكتمل إلا بقدر من العناء والجهد لجدير بأن يعذر صاحبه ، ويستحسن سعيه ، ولا أملك إلا أن أسأل الله أن يجزيكم عني وعن العلم خير الجزاء وأن يمتعكم بالصحة والهناء في الدنيا والآخرة، وأن يجزي بالخيرات عني كل من ساعدني من قريب أو بعيد في بحثي ، إما بيد بيضاء سابغة، أو رأي يستفاد ، أو نصح يهدي ، وأخص بالذكر شيخ القراء ومعلمهم وعميد الدراسات القرآنية ومجددها الأستاذ الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، هو وجميع الأساتذة والعلماء الذين جلست بين أيديهم أتعلم منهم مالم أكن أعلم.

ولابد في نهاية هذا التقرير أن أعترف بأن طبيعة الناس تغور دون الكمال ، وهي وإن حاولت ارتياد معالي الأمور سرعان ما يدركها الخطأ والتقصير ، إذ الكمال لله وحده ، ولا أقول إلا ما قاله الإمام الشاطبي في (حرز الأماني ووجه التهاني) رحمه الله:

وإن كان خرق فادركه بفضلة
من الحلم وليصلحه من جاد مقولا

والله من وراء القصد،، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

صلاة القصر في الخوف والسفر

■ إعداد الأستاذ : المستطيع السعيد

■ لا شك أن الصلاة عماد الدين وعموده الفقري ولذلك فإن الإسلام لا يعفي معتنقيه منها في الحظر أو السفر ولا في الصحة والمرض ولا في حال أمن أو خوف ولهذا أرشد الحق سبحانه وتعالى إلى نوع التخفيف الذي خففه عنهم بالنسبة للحالة التي يخشون فيها فتنة العدو وهم في مواجهة وذلك بالإذن لهم في قصر الصلاة والاقتصار فيها على ركعة واحدة أو ركعتين اثنتين على أن يقسموا أنفسهم بالتناوب إلى طائفتين .طائفة تقوم بالصلاة وأخرى تقوم بالحراسة إذ تصطف الطائفة الأولى وراء الإمام وتصلي معه ركعة واحدة ثم تتم ركعتها الثانية وحدها وتسلم في الوقت الذي تكون فيه الطائفة الثانية قائمة بحراستها من مفاجئات العدو لها أثناء الصلاة وعند انتهاء الطائفة الأولى من صلاتها تبادر فتأخذ مراكز الطائفة الأخرى التي حرستها من قبل وتحل محلها في الحراسة وتأتي الطائفة الثانية لتلتحق بدورها في الصلاة وراء الإمام الذي يثبت قائما في مكانه في انتظارها بركعته الثانية فتأتم به فيها ثم تضيف إلى الركعة التي أدركتها معهه ركعة أخرى وحدها تتم بها ركعتين وتسلم وفي الحين تعود إلى مراكزها في صف القتال وهكذا يحافظ المؤمنون على صلواتهم التي هي صلتهم بالله في كل الظروف حتى في هذا الظرف الخطير يستمدون عن طريقها المدد الإلهي والعون الروحي لمواجهة مسؤولياتهم بقلب ثابت وعزم صادق ويقين في الله لا يداخله أدنى شك أو وهم وذلك ما يشير إليه قوله تعالى في سورة النساء« وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبين ، وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معكم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم».

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد ما قرره الشارع في كيفية هذه الصلاة من الجمع بين مقتضيات العبادة ومقتضيات الدفاع على أكمل وجه من التوفيق والتنسيق فأعطى لواجب العبادة حقه وأعطى لضرورة الدفاع حقها وهكذا لم يكتف الإسلام من جنوده بالعبادة وحدها مع التفريط في مقتضيات الدفاع والتعرض للخطر كما لم يكتف منهم بالواجب العسكري وحجه والتحرز من العدو مع نسيان الله وإهمال الصلاة وتلك هي الخطة الإسلامية المرسومة دائما وفي مختلف مجالات الحياة بالنسبة للجوانب الروحية والجوانب المادية لا يضحي الإسلام بجانب منها في سبيل جانب آخر ، وإنما يعمل على إعطاء كل جانب منها حظه من العناية والاهتمام ويسعى للتوفيق بينهما دائما حفظا للتوازن وحرصا على الانسجام ، والحكمة من مشروعية هذه الصلاة بهذه الكيفية ومن تقسيم المسلمين إلى طائفتين كما بينتها الاية الكريمة اتخاذ الاحتياط والتزام الحذر عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، وقد جاء في الأثر أن الرسول (ص) في إحدى المناسبة التي واجه فيها المشركون صلى بأصحابه الظهر أربعا فهل فهم بهم المشركون أن يغير على أمتعتهم وعلى أثقالهم فشرع الله نوع الصلاة المناسبة لظروف القتال وجعلها جامعة بين التحرز من العدو والتعبد لله في نفس الوقت ، وغني عن البيان أن الصلاة التي حددها كتاب الله في حالة القتال هي المعبر عنها على لسان علماء الشريعة باسم صلاة الخوف.

2. صلاة القصر:

روى بن جرير الطبري ونقله عنه ابن كثير في تفسيره أن أمية ابن عبدالله قال لعبد الله ابن عمر إنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه:(إنا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملا فعملنا به. قال ابن كثير فقد سمى صلاة الخوف مقصورة وحمل الآية عليها لا على قصر المسافر وأقره ابن عمر على ذلك واحتج على قصر الصلاة في السفر لفعل الشارع لابنص القرآن.

ونقل أبو بكر ابن العربي المعافر نفس سؤال أمية بن عبد الله لعبد الله بن عمر رضي الله عنه لكن على هذا الوجه (إنا نجد صلاة الحظر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر وقال له عبد الله ابن عمر رضي الله عنه إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلينا ونحن لا نعلم شيئا فإنا نفعل كما رأيناه يفعل (. كما نقل ابن العربي ماقاله يعلى ابن أمية لعمر ابن الخطاب (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم) فها نحن قد أمنا وقال عجبت مما عجبت منه وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح (إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة) وهذا مما يدل على أن قصر الصلاة في السفر ثابت بالسنة الفعلية والقولية . والسنة كما هو معلوم مصدر ثاني للتشريع. قال أبو زيد القيرواني في متن الرسالة في الباب 14 ومن سافر مسافة أربعة برد وهي 48 ميلا فعليه أن يقصر الصلاة فيصليها ركعتين إلا المغرب فلا يقصرها وأضاف قائلا ولا يقصر حتى يجاوز بيوت المصر فتصير خلفه لا بين يديه ولا بحذائه منها شيء" ثم قال (ثم لا يتم حتى يرجع إليها أو يقار بها بأقل من الميل وإن نوى المسافر إقامة أربعة أيام بموضع أو ما يصلي فيه عشرون صلاة أتم الصلاة حتى يضعن من مكانه ذلك ومن خرج ولم يصل الظهر والعصر وقد بقي من النهار قدر ثلاثة ركعات صلاهما سفريتين فإن بقي قدر ما يصلي فيه ركعة أو ركعتين صلى الظهر حظرية والعصر سفرية ولو دخل لخمس ركعات ناسيا لهما صلاهما حظريتين فإن كان يقدر أربعة ركعات فأقل إلى ركعة صلى الظهر سفرية والعصر حظرية وإن قدم في ليل وقد بقي للفجر ركعة واحدة فأكثر ولم يكن صلى المغرب والعشاء صلى المغرب ثلاثا والعشاء حضرية . ولو خرج وقد بقي من الليل ركعة فأكثر صلى المغرب ثلاثا والعشاء سفرية) وخير ما أختم به الكلام وأجعله مسك ختام ألف صلاة وسلام على محمد (صلى الله عليه وسلم) خير الأنام.

حصة شهر جمادى الثانية لعام 1426 لطول وعرض مدينتي الرباط وسلا بتوقيت جرينويش

الأيام	جمادى الثانية 1426	يوليوز غشت 2005	الصبح	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
			س : د	س : د	س : د	س : د	س : د	س : د
الجمعة	1	8	32:3	20:5	37:12	18:4	45:7	18:9
السبت	2	9	33:3	21:5	37:12	18:4	45:7	17:9
الأحد	3	10	34:3	21:5	37:12	18:4	45:7	17:9
الاثنين	4	11	35:3	22:5	37:12	18:4	44:7	16:9
الثلاثاء	5	12	36:3	22:5	38:12	18:4	44:7	16:9
الأربعاء	6	13	37:3	23:5	38:12	18:4	44:7	15:9
الخميس	7	14	38:3	23:5	38:12	18:4	43:7	14:9
الجمعة	8	15	38:3	24:5	38:12	19:4	43:7	14:9
السبت	9	16	39:3	25:5	38:12	19:4	42:7	13:9
الأحد	10	17	40:3	25:5	38:12	19:4	42:7	12:9
الاثنين	11	18	41:3	26:5	38:12	19:4	41:7	11:9
الثلاثاء	12	19	42:3	27:5	38:12	19:4	41:7	11:9
الأربعاء	13	20	43:3	27:5	38:12	19:4	40:7	10:9
الخميس	14	21	44:3	28:5	38:12	19:4	40:7	09:9
الجمعة	15	22	45:3	29:5	38:12	19:4	39:7	08:9
السبت	16	23	46:3	29:5	38:12	19:4	39:7	07:9
الأحد	17	24	47:3	30:5	38:12	19:4	38:7	06:9
الاثنين	18	25	48:3	31:5	38:12	19:4	37:7	05:9
الثلاثاء	19	26	49:3	31:5	38:12	18:4	36:7	04:9
الأربعاء	20	27	51:3	32:5	38:12	18:4	36:7	03:9
الخميس	21	28	52:3	33:5	38:12	18:4	35:7	02:9
الجمعة	22	29	53:3	34:5	38:12	18:4	34:7	01:9
السبت	23	30	54:3	34:5	38:12	18:4	33:7	00:9
الأحد	24	31	55:3	35:5	38:12	18:4	33:7	59:8
الاثنين	25	غشت	56:3	36:5	38:12	18:4	32:7	58:8
الثلاثاء	26	2	57:3	37:5	38:12	18:4	31:7	56:8
الأربعاء	27	3	58:3	37:5	38:12	17:4	30:7	55:8
الخميس	28	4	59:3	38:5	38:12	17:4	29:7	54:8
الجمعة	29	5	00:4	39:5	38:12	17:4	28:7	53:8
السبت	30	6	01:4	39:5	38:12	17:4	27:7	52:8

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1124
السنة39
الجمعة 08 جمادى الثانية 1426
هـ الموافق 15 يوليوز 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 037 67 03 51
الفاكس: 037 67 45 93
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق
الرابطة
العدد: 1124 الجمعة 08 جمادى الثانية 1426 هـ . الموافق 15 يوليوز 2005م

أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله يترأس افتتاح أعمال المجلس العلمي الأعلى بفاس ويلقي في العلماء خطابا هاما يؤسس انطلاق أعمال الإفتاء الجماعي بإحداث هيئة الفتوى داخل المجلس العلمي الأعلى قطعا لدابر الفتنة والبلبلة في الشؤون الدينية، وجعل هيئة الفتوى آلية لتفعيل الاجتهاد الديني على أساس المزاوجة الخلاقة بين الأنظار الفقهية والخبرة الميدانية

■ جلالته يأمر بتوعية الناس بأصول المذهب المالكي ولا سيما في تميزه بالعمل بقاعدة المصالح المرسلة

■ جلالتـه يكلف اللجنة الدائمة لإحياء التراث بالعـمل علـى تحقيق كتـاب الموطـأ بالـرجـوع إلـى مـخطوطاتـه المـغـربية الفـريدة

■ جلالته يؤكد العزم على المضي قدما في إصلاح الشأن الديني باعتباره أحد أركان مشروعنا المجتمعي

■ جلالته يدعو كافة العلماء إلى الانخراط في حركة الإصلاح الشامل الذي يقوده جلالته لتجسيد المواطنة الإيجابية بالاجتهاد المنفتح على التطور والتقدم مع الحفاظ على ثوابت هويتنا المتميزة والإجماع الراسخ على مقدسات الأمة

ألقى جلالة الملك محمد السادس يوم الجمعة الماضي بتاريخ فاتح جمادى الثانية عام 1426هـ خطابا خلال ترؤس جلالته افتتاح الدورة الأولى لأعمال المجلس العلمي الأعلى بالقصر الملكي بفاس. وفي مايلي النص الكامل للخطاب الملكي:

حضرات السيدات والسادة العلماء الأفاضل، يطيب لنا أن نرأس افتتاح أعمال هذه الدورة للمجلس العلمي الأعلى، بعد استكمال إرساء الصرح المؤسسي للحقل الديني، من مجالس علمية وأجهزة وتنظيمات مركزية وجهوية ومحلية، وتمكينها من الوسائل الكفيلة بإنجاح مهامها، قياما من جلالتنا بالأمانة التي نتقلدها كأمير للمؤمنين، في السهر على صيانة الملة والدين.

وقد أبينا إلا أن نشرك في هذا اللقاء. علاوة على أعضاء المجالس العلمية الأعلى منها والمحلية، نخبة من العالمات والعلماء الأفاضل، اعتبارا منا لإسهامهم الفاعل في النهوض بالدور المنوط بها تأطيرا وتوجيها، وإرشادا وتنويرا، مع الإصغاء، عن قرب، للمواطنين في مشاغلهم الدينية ولا سيما الشباب منهم.

وتفعيلا لتوجيهاتنا السامية، بشأن تحديد مرجعية الفتوى التي هي منوطة بإمارة المؤمنين. أحدثنا هيئة علمية داخل المجلس العلمي الأعلى، لاقتراح الفتاوى على جلالتنا فيما يتعلق بالنوازل التي تتطلب الحكم الشرعي المناسب لها قطعا لدابر الفتنة والبلبلة في الشؤون الدينية. وإننا لننتظر منكم أن تجعلوا من هيئة الفتوى، آلية لتفعيل الاجتهاد الديني الذي تميز به المغرب على مر العصور في اعتماده على أصول المذهب المالكي، ولاسيما قاعدة المصالح المرسلة وقيامه على المزاوجة الخلاقة بين الأنظار الفقهية والخبرة الميدانية.

وبذلكم نقوم بتحصين الفتوى التي هي أحد مقومات الشأن الديني بجعلها عملا مؤسسيا واجتهادا جماعيا. لا مجال فيه لأدعياء المعرفة بالدين ولتطاول السفهاء والمشعوذين ولا للمزاعم الافترائية الفردية.

وفي هذا السياق، قررنا أن تكون فاتحة أعمال المجلس العلمي الأعلى تكليفه طبقا لما يراه من رأي فقهي متنور بتوعية الناس بأصول المذهب المالكي ولاسيما في تميزه بالعمل بقاعدة المصالح المرسلة، التي اعتمدتها المملكة المغربية على الدوام لمواكبة المتغيرات في مختلف مناحي الحياة العامة والخاصة، من خلال الاجتهادات المتنورة، لأسلافنا الميامين ولعلمائنا المتقدمين، وهو الأصل الذي تقوم عليها سائر الأحكام الشرعية والقانونية المنسجمة والمتكاملة، التي تسنها الدولة بقيادتنا، كملك وأمير للمؤمنين في تجاوب مع مستجدات العصر والتزام بمراعاة المصالح ودرء المفاسد، وصيانة الحقوق وأداء الواجبات.

كما نكلف اللجنة الدائمة لإحياء التراث بالعمل على تحقيق كتاب "الموطأ" لإمامنا مالك بن أنس، رضي الله عنه تحقيقا علميا متقنا، يليق بموضوعه وبالمكانة التي يحظى بها لدى المغاربة، وإننا لننتظر من هذه اللجنة استدراك ما فات طبعاته السابقة، وذلك بالرجوع إلى مخطوطاته المغربية الفريدة ليطبع في حلة وطنية أصيلة جديرة بالمغرب، كمنارة مشعة للفقه المالكي.

وإذ نؤكد عزمنا على المضي قدما في إصلاح الشأن الديني الذي قطع خطوات هامة باعتباره أحد أركان مشروعنا المجتمعي فإننا ندعوكم وكافة العلماء المستنيرين، رجالا ونساء على حد سواء إلى النهوض بالمسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتقكم، والانخراط في حركة الإصلاح الشامل الذي نقوده.

وإنا لنعول عليكم في الإسهام الفاعل، لتجسيد المواطنة الإيجابية بالاجتهاد المنفتح على التطور والتقدم مع الحفاظ على ثوابت هويتنا المتميزة، والإجماع الراسخ على مقدسات الأمة، من عقيدة وسطية وملكية ديمقراطية ووحدة ترابية، التي نحن بالبيعة الشرعية عليها مؤتمنون، وبسيادة الدستور وقوة القانون لها ضامنون، وعلى حرمتها ساهرون، سائلين الله تعالى أن يجعل التوفيق والسداد حليفكم.

مطلوب من العلماء الانخراط في حركية الإصلاح الشامل التي يقودها أمير المؤمنين

يعتبر الخطاب الذي وجهه أمير المؤمنين إلى علماء الأمة عامة، وأعضاء المجالس العلمية والمحلية، والمجلس العلمي الأعلى وبعض العلماء المشاركين في الدورة الأولى للمجلس العلمي الأعلى نقلة نوعية في ابراز الدور الريادي لتلك الشريحة المتنورة من الأمة، التي تعمل في صمت ونكران الذات ، والتي تعايش مناشط المواطنين في كل مجالات الحياة لا فرق لديها بين الصالح والطالح، ولا بين الذكران والإناث، ولا بين الصغار والكبار فهي الفئة التي آمنت بربها وعرفت أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأعلاها لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فكانت دائما في بوتقة جهود الإصلاح وأتون الدفاع عن الوطن، ساهمت في معارك التحرير ، وجاهدت في سبيل الإصلاح والتحديث، ودافعت عن العرش مقدمة التضحيات الجسيمة، فما ضعفت ولا استكانت، ولا تركت الحبل على الغارب، وإنما عملت مع العاملين، وأسست عندما غاب الفاعلون ، والدليل على ذلك كتاتيب الفقهاء التي تحولت إلى مدارس حرة ابان الحماية وألواحهم التي خرجت منها الجرائد والمجلات، وأقلامهم الت تحولت إلى مكروفونات صادحة بالحق والمشروعية، وجمعياتهم التي كانت رائدة في مجال تأطير المواطنين وتوعيتهم ، وقيادتهم، نحو الأهداف السامية التي نذروا اليها أنفسهم، وإذا كانت سنة الحياة قد طبقت على تلك الجمعيات بموت بعض رموزها فإنهم تركوا خلفا ما يزال يوالي المسيرة، إلا أنه آن الأوان لأن يجددوا أمورهم، ويحدثوا هياكلهم، وفق المستجدات، ليكونوا قدوة في مجال الديمقراطية خاصة وانهم لا يخضعون للضغوطات الانتخابوية الهادفة إلى الانخراط في آلية إدارة الشأن العام، ولا يتنافسون في دنيا يصيبونها ولا مكانة يحتلونها .

لذلك يجب الانخراط فيما أمر به أمير المؤمنين من عمل للحفاظ على الثوابت الراسخة للأمة في تلاحم بين الجميع في ظل البيعة الشرعية بعيدا عن الغلو والميوعة.